

جميع حقوق الطبع والنشر والتصوير
والاقتباس والترجمة والنقل محفوظة

سلسلة الفتوحات العزمية

(١٢)

الطبعة الأولى
رجب ١٤٢٦هـ - أغسطس ٢٠٠٥م

رقم الإيداع
١٤٧٠١ / ٢٠٠٥

التقديم الدولي
٨-٦٦-٥٢٧٣-٩٧٧

أم الأنوار فاطمة الزهراء

لجنة البحوث والدراسات
بالطريقة العزمية

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
الافتتاحية:	٤
تمهيد:	١١
الفصل الأول:	٢١
حب النبي واحترامه للسيدة فاطمة (ع)	
- أسماء السيدة فاطمة (ع)	٢٨
الفصل الثاني:	٦٥
الزهراء (ع) فى بيت الزوجية	
الفصل الثالث:	٧٨
السيدة الزهراء (ع) الأم	
- المدرسة التربوية	٨٤
الفصل الرابع:	١٠٧
بعض فضائل السيدة فاطمة (ع)	
الفصل الخامس:	١١٤
طائفة من أقوال السيدة الزهراء (ع)	
الفصل السادس:	١٣٠
لحظات عمرها الأخيرة	
الخاتمة:	١٣٩

الافتتاحية

الحمد لله الذى خصنا بالسيدة الجليلة، والبضعة الطاهرة المباركة، والابنة البارة، والزوجة القدوة، والأم الحانية، والمجاهدة الصابرة، سيدة نساء العالمين فى الدنيا والآخرة..

فاطمة البتول..

صلوات الله وسلامه عليها وعلى أبيها وبنيتها وذريتها ومحبيها، الذين استحفظهم الله علمه، يصونون مصونه، ويفجرون عيونه، يتواصلون بالولاية، ويتلاقون بالمحبة، قد حفت بهم الملائكة، وتنزلت عليهم السكينة، وفتحت لهم أبواب السموات، وأعدت لهم مقاعد الكرامات، فى مقام اطلع الله عليهم فيه فرضى سعيهم، وحمد مقامهم.

وبعد...

الحديث عن العظماء والعباقرة، والشخصيات المميزة، صعب مستصعب، وذلك لعظمة ما يحملون من القيم الإنسانية والأهداف السامية.. ولأجل أن نستكشف بعض مزايا هذا العظيم أو ذاك، نحتاج إلى وقفات من التفكير

والتدبر قبل الغور في سبر تلك الشخصية، وأنى لنا ذلك
(فصفات ضوء الشمس يذهب باطلاً).

هذا إذا عرفنا أن الحديث عن سيدة نساء العالمين
فاطمة الزهراء الطهر عليها السلام، إنما هو حديث عن
حلقة الوصل التي اجتمع فيها النور الإلهي، وكانت
حصيلة ذلك منها الأئمة الأطهار عليهم السلام أجمعين،
وهم حجج الله على خلقه، وخلفاؤه في أرضه، ومن لم
يكن له نصيب من هذا النور، فقد ضل ضلالاً بعيداً
وخسر خسراناً مبيئاً.. لأنه من هذا النور المبارك يسعى
النور بين أيدي المؤمنين يوم القيامة.

فاطمة.. وما أدراك ما فاطمة؟

إن نطقها تكونت بقدرة الله وعنايته، وهي الحوراء
الإنسية، وحسبها شرفاً وفخراً أنها بضعة الرسول
المصطفى ﷺ وآله، وروحه التي بين جنبيه، وهي أم أبيها
كما نعتها والدها بذلك، وأنى لنا إدراك كنه عظمتها، أو
استكشاف سر من أسرارها؟

كثيراً ما كتب فطاحل العلماء، والكتاب والمؤرخون،

عن الزهراء فاطمة عليها السلام، فملؤوا بمناقبتها
وفضائلها الموسوعات والكتب، وما بلغوا مقدار عشر
معشار عظمتها أو اكتشاف بعض مناقبها، أو السر
المكنون فيها.

وما عسانا أن نكتب عن أسرارها، والعجز شيمتنا،
وما ترانا نستطيع وصف خلق الرسالة، وشمائل النبوة،
وصنيعة الوحي، ومن نكون لنعرف الروح القدسية، ونور
الملكوت الأعلى.. ففاقد الشيء لا يعطيه.

فاستنهضاً لهمم المسلمين، لتفاض عليهم من أنوار
وأسرار الزهراء.. عقد المؤتمر الأول لذكرى ميلاد
السيدة الزهراء عليها السلام يوم الخميس ٢٢ جمادى
الثانية ١٤٢٦هـ الموافق ٢٨ يولية ٢٠٠٥م بشارع
مجلس الشعب أمام مسجد الإمام أبي العزائم عليه السلام، وقد
حضره ما يزيد عن (١٥) ألف من أبناء الطريقة العزمية
ومحبي آل البيت، وعشرون شيخاً من مشايخ الطرق
الصوفية، وجمع كبير من علماء الأزهر والأوقاف،
وكوكبة من رجال الإعلام والصحافة ووكالات الأنباء

والإذاعات المحلية والدولية لتغطية هذا الاحتفال الكبير. وقد تزامن هذا الاحتفال -الذي أعلن عن مواعده قبل انعقاده بثلاثة أشهر- مع عدة مناسبات فرضت نفسها على الاحتفال، من بينها:

- ١- إعلان السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ترشيحه لفترة رئاسة خامسة فى نفس يوم الاحتفال.
 - ٢- وقوع الحادث الإرهابى الإجرامى فى مدينة شرم الشيخ، والذى أودى بحياة العشرات من الأبرياء المصريين والسياح الأجانب فى نفس أسبوع الاحتفال.
- وقد ابتدأ المؤتمر بالقرآن الكريم، ثم كلمة شيخ الطريقة العزمية السيد محمد علاء الدين ماضى أبو العزائم للترحيب بالسادة الضيوف، وبيان فضائل السيدة فاطمة عليها السلام، وبداية مرحلة الأمن والأمان بالعودة إلى أهل البيت الكرام، وتأييد الرئيس مبارك فى كل خطواته فى حرب الإرهاب، وإدانة عملية شرم الشيخ الإجرامية، ومبايعته لفترة رئاسية جديدة.
- ثم كانت كلمة السيد حسن الشناوى شيخ مشايخ الطرق

الصوفية والتي بدأها بشكر الطريقة العزمية على إقامة هذا المؤتمر الحاشد، ولم يستغرب ذلك لأن أهل البيت هم المؤسسون لعلم التصوف وللطرق الصوفية، وأدان الحادث الإرهابى بشرم الشيخ وأيد مبايعة الرئيس مبارك لفترة رئاسية جديدة.

ثم كانت كلمة الدكتور أحمد السايح الأستاذ بجامعة الأزهر وقطر وأم القرى، والتي تمحورت حول (ذكرى مولد الزهراء دعوة للأمن والأمان).

وتلاه الدكتور عبد الحكم الصعيدى الأستاذ بجامعة الأزهر بكلمة عن فضائل السيدة الزهراء عليها السلام. وتحدث فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف السابق عن حب النبى وأهل بيته.

وأعقبه فضيلة الشيخ فرحات السعيد المنجى وكيل أول الوزارة بالأزهر الشريف سابقاً بكلمة حول السيرة الخاصة بالسيدة الزهراء عليها السلام.

وجميعهم أكدوا على إدانة الإرهاب ومحاربتة، والوقوف يداً واحدة خلف الرئيس مبارك فى الفترة

القادمة.

وختمت الكلمات بكلمة الأستاذ عبد الحليم العزمى مدير تحرير مجلة الإسلام وطن والتي تمحورت حول العلاقة الخاصة التى تربط السيدة الزهراء عليها السلام بأبيها المصطفى ﷺ وآله.

وفى جو روحانى فياض، تحفه أنوار أهل البيت الكرام سعد الحاضرون بختام المؤتمر بالإنشاد الدينى من مداح الرسول الأستاذ أحمد الكحلاوى حيث هامت أرواحهم، وطابت نفوسهم بما سمعوه من إنشاد دينى لمواجيد الإمام المجدد أبى العزائم ﷺ، وقصائد الشعراء فى مدح السيدة الزهراء عليها السلام.

وفى أثناء الاحتفال وصل فاكس من الدكتور محمد أحمد الشريف الأمين العام للقيادة الشعبية الإسلامية العالمية يعتذر عن عدم تمكنه من حضور الاحتفال، ونقل مباركة وتحيات الأخ القائد معمر القذافى قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية لمؤتمر الزهراء العالمى الكبير، مع التأكيد على مساندته لأخيه الرئيس مبارك فى

إعادة ترشيحه لفترة رئاسية جديدة. كما أكد على مساندة الشعب الليبى وحكومته للشعب المصرى وحكومته فى محاربتهم للإرهاب واجتثاث جذوره.

فالسلم عليك يا سيدتنا، ويا سيدة نساء العالمين، أيتها الصديقة، الشهيدة، الراضية، المرضية، الفاضلة، الزكية، النقية، النقية، الطاهرة، المطهرة، يا من علمتينا مكارم الأخلاق، ومحاسن المعاملات.. فى يوم مولدك المبارك.. ورحمة الله وبركاته.

لجنة البحوث والدراسات
بالطريقة العزمية

تمهيد

مكانة المرأة فى التاريخ

كان الناس قبل زمن ظهور الإسلام، ييغضون الأنثى ويعتبرونها عاراً عليهم، ويعظمون الرجل ويكرمونه ويعتبرونه رمزاً للعزة والكرامة. إلى أن بعث الله عز وجل رسوله الكريم الحبيب المصطفى سيدنا ومولانا محمد ﷺ فأخذ يبلغهم رسالات ربه.

ومما نصح به رب العالمين على لسان سيد المرسلين أن المرأة لها دور عظيم وكبير فى حياة المجتمع، فهى إن صلحت صلح المجتمع كله لأنها هى مربية الأجيال ومعلمتهم.

لذلك حرص الإسلام على تكريم المرأة وجعلها رمزاً وعلماً فى كثير من المناسبات.

* فيها يكمل الدين حيث إن الرجل إذا تزوج أكمل نصف دينه.

* وجعل الجنة تحت أقدامها إن هى أنجبت.
* وجعل ثواب رضاها أعظم من ثواب الأب.
* وجعلها حسنة يثاب عليها الوالدان.
* وجعل من له بنات يربيهن تربية صالحة ثوابه الجنة.
* ورفع عنها تكليف الأعمال الشاقة، وجعل عملها البسيط كالعمل الشاق، وجهادها حسن تبعلها، وبيتها مسجدها، وحملها وولادتها لا يماثله شئ.
ويحدثنا التاريخ الإنسانى الطويل عن نماذج وأمثلة عن بعض النساء العفيفات الشريفات المؤمنات الصالحات مثل السيدة الطاهرة مريم بنت عمران أم النبى عيسى عليه السلام.
والسيدة آسية بنت مزاحم تلك المجاهدة التى جاهدت أعظم طاغوت فى زمانها وهو زوجها فرعون.
والسيدة الزكية الكريمة خديجة بنت خويلد زوجة النبى ﷺ التى قدمته مألديها من مال وجهد فى سبيل نصرته الرسالة المحمدية.

وأعظمهم شأنًا ومنزلةً ومقاماً وشرفاً وكرامةً وقرباً إلى الله عز وجل سيدة نساء العالمين من الأولين والآخريين ابنة خاتم النبيين وأفضل الخلق أجمعين، زوجة سيد الوصيين ووارث علم النبيين أمير المؤمنين على بن أبى طالب، ووالدة سيدا شباب أهل جنة رب العالمين، حبيبا الرسول الكريم الحسن والحسين، العالمة الطاهرة التقية الزكية التي يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها، ريحانة الرسول وبهجة قلب المصطفى وعينه التي بها يرى السيدة فاطمة الزهراء.. سلام الله عليها وعلى أبيها وزوجها وبنيتها ومحبيها.

السيدة الزهراء المرأة الاستثنائية

وبالقطع واليقين فإن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ليست امرأة عادية بل هي استثنائية فى جوهر تكوينها، كما هي استثنائية فى مواقفها وجهادها وعبادتها وإيمانها وطاعتها أيضاً.

فقد جرت سنة الله تعالى على أن يخلق من الرجال من هم استثنائيون كالأنبياء، حيث يخلقهم بشكل مختلف كما

فعل بالنسبة إلى آدم وعيسى بن مريم، أو يتدخل فى شؤونهم، ويحافظ على وجودهم مثل موسى بن عمران. وكما فى الرجال كذلك فى النساء، فقد اختار الله مريم لتكون سيدة نساء زمانها، فكان رب العباد يطعمها كما يقول القرآن الكريم: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٣٧).

وإذا كان الله تعالى يتقبل مريم وينبتها نباتاً حسناً وهي سيدة نساء زمانها. فكيف بمن أرادها الله تعالى لتكون سيدة نساء العالمين؟

لقد خلق الله السيدة فاطمة لتؤدى دوراً إلهياً.. وتكون سيدة النساء، ونموذجاً للمؤمنين والمؤمنات فى الحياة الدنيا..

ولولا أن السيدة فاطمة امرأة استثنائية لما جعل الله رضا معلقاً على رضاها. وغضبه كذلك معلقاً على غضبها.

يقول رسول الله ﷺ: (رضا الله من رضا فاطمة

وغضبه من غضبها) [مستدرك الصحيحين للحاكم
١٥٣/٣].

ويقول ﷺ: (من أرضاها فقد أرضى الله. ومن
أغضبها فقد أغضب الله).

ولو أن رسول الله ﷺ كان يقول: (رضا فاطمة من
رضا الله. وغضبها من غضبه) لكان أمراً مهماً حيث كان
يعنى التزام السيدة فاطمة برضا الله.

ولكن النبي ﷺ قال العكس، فعلق رضا الله على رضا
فاطمة، وغضب الله على غضبها، فقال: (رضا الله من
رضا فاطمة وغضبه من غضبها)..

وذلك أمراً استثنائياً.. لامرأة استثنائية.
وهكذا فإن في السيدة فاطمة سرّاً عظيماً. لن يكشف
لأحد..

ألا نقرأ في الدعاء المأثور: (اللهم بحق فاطمة وأبيها
وبعلها وبنيتها والسر المستودع فيها..).

فمهما بحثنا ودرسنا وقلنا في حق هذه السيدة العظيمة
فإننا سوف لا نصل إلى بيان سوى جزء قليل جداً من

مقامها الشريف والعالى.

قال الإمام الصادق عليه السلام: [وإنما سميت فاطمة
(عليها السلام) لأن الخلق فطموا عن معرفتها].

وهل للمحدود أن يحيط باللامحدود؟ وهل للجزء
الضئيل أن يستوعب الكل والمطلق؟

وهل لملعقة فنجان أن تهضم مياه محيطات الأرض؟
كلا.. وألف كلا، ولذلك قال رسول الله ﷺ مخاطباً السيدة
فاطمة (عليها السلام): (ما عرفك إلا الله وأنا).

لقد عجز الإنسان رغم كل التقدم العلمي المبهر عن أن
يعرف حقيقة الجن والملائكة والشياطين.. وسائر الحقائق
الغيبية الميتافيزيقية. ولقد عجز أيضاً عن معرفة مالا
يحصى من الحقائق الطبيعية حتى تلك التي يعايشها في
حياته اليومية.

ولقد عجز - وسيبقى عاجزاً - عن إدراك حقيقة
(النفس) وكنه (الروح) كما قال الرب جل وعلا:
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ
مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥).

والسيدة فاطمة الزهراء هي (روح الروح) و(جوهر الحقيقة) أو ليست هي التي قال فيها الرسول الأعظم ﷺ: (فاطمة روحى التي بين جنبي)؟ وهو الذى قال فيه الوحي الإلهي: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم: ٤،٣). ومع كل ذلك قد ينكر ضياء الشمس ولكن: هل يضر باهرة الحسن والجمال أن (يتحفظ) فى جمالها (الأعمى) أو (عديم الذوق)؟! وهل يضير المجرة أن تتضحك عليها الذرة؟ وهل يضير أزهار الربيع النضرة أن تسخر منها الحشائش والطفيليات؟ وهل يضير سادة البشرية على مر التاريخ - من النبيين (عليهم الصلاة والسلام) - أن يجهل عظمتهم محدودوا الأفق وضيقوا الفكر؟ وهل يضير السيدة فاطمة الزهراء (وهى أم أبيها ﷺ)، ومحور الكون، وقطب رضى أصحاب الكساء (هم فاطمة وأبوها وبعلمها وبنوها) أن ينكر فضلها من قد أنكر؟

القرآن الكريم هو كتاب الله الصامت وأهل البيت (عليهم السلام) هم كتاب الله الناطق، وكما أن للقرآن

ظهراً وبتناً إلى سبعين بتناً. وكما أن القرآن الكريم (ظاهره أنيق وباطنه عميق) وكما له لب ولب اللب، وكما يتضمن رموزاً وإشارات وكما قد يعبر رمز قرآنى - مهما بدى لدى النظرة السطحية بسيطاً - عن بحار من المعرفة وآفاق شاسعة لا متناهية عن (الحقائق) و(الرفائق) و(الدقائق).

وإذا توهم الجاهل بنظرة ساذجة إلى ظاهر القرآن الكريم، أنه امتك المقدره على مجارة كتاب الله، فإنه لا يفضح إلا جهله، كذلك تماماً السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، أو لم تكن (محطة أسرار) رسول رب العالمين؟ أو ليست هي التي قال عنها الإمام العسكرى العليّ: (نحن حجج الله على خلقه، وجدتنا فاطمة حجة الله علينا)؟.

فكفاكن - يا نساء الأرض - فخراً وشموخاً أن تكون منكن امرأة كـ(الزهراء)، شمس عقول البشرية، والنور المتألق على العرش منذ بدأ الخلق، وذروة المجد الشامخ فى أعلى قمم السجاياء الإنسانية والفضائل الروحانية.

وحسب المرأة عزاً وشرفاً ومجداً وعظمة أن تقتبس

وجنوده، ولصعقت شياطين الرجال، ولتربعت على قمة
المجد والخلود.. ولو أنها اقتدت بالسيدة (فاطمة) لتحولت
الأرض إلى (فردوس).. إلى جنة غناء: وارفة الظلال
شهوة الثمار..

ولخيمت (السعادة) على ربوع الأرض، ولعاد الربيع
والأزهار، بأريجها الزاكي، وعطرها الفواح..

ملاحظة:

اعتمدنا في الكثير من مادة هذا الكتاب على أقوال أئمة
أهل البيت الكرام، لأنهم هم أدرى الناس بالبيت وأهله،
وليس سواهم.

شعاعاً من نور السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، لقد
كانت سلام الله عليها كـ(زوجة) نموذجية، وكـ(أم)
مثالية، وكـ(امرأة) القمة في العفة والحياء والطهر
والنقاء، وكانت في - مكارم الأخلاق- (المثل الأعلى)
للبشرية على مر التاريخ في: الزهد والإيثار، وحسن
الخلق، وفي التهجذ والتضرع والعبادة وغير ذلك. كانت
تقوم على رجليها في محراب العبادة حتى لقد ورمت
رجلاها من كثرة الوقوف، وكانت ذلك البحر المواجه من
علوم الرسالة، وكانت ذلك الشلال المتدفق والنهر الجارى
من العطاء، وفي مواجهة الطغاة قمة في الشجاعة،
أ نموذجاً لا يضاهى في الصبر والإباء والتضحية والفداء،
وكانت الجمود الذى تحطمت عليه رؤوس الفتن
والضلال، وكانت (الملجأ) الذى يركن إليه طلاب الحقيقة
ورواد المعرفة، والفقراء والمستضعفين.. كانت (الكهف
الحصين) للأمة فى مواجهة أعاصير الفتن المدوية فى ليل
الاستبداد و(صرخة الحق).

ولو أن (الأنثى) فى خطى الزهراء لأذهلت إبليس

الفصل الأول

حب النبي واحترامه

للسيدة فاطمة (عليها السلام)

للسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) المكانة المرموقة عند أبيها ﷺ وآله فقد حلت أوسع مكان في قلبه، ووقعت في نفسه أحسن موقع، فكان يحبها حباً لا يشبه محبة الآباء لبناتهم، إذ كان ذلك الحب مزيجاً بالاحترام والتعظيم، فلم يعهد في العالم أب عامل أبناءه ما شوهد من معاملة الرسول ﷺ وآله لابنته السيدة فاطمة.

ولم يكن ذلك منبعثاً من العاطفة الأبوية فحسب، بل كان ذلك لما تتمتع به السيدة الزهراء (عليها السلام) من المواهب والمزايا والفضائل الفريدة، ولعله كان مأموراً باحترامها وإجلالها، فما كان يدع فرصة أو مناسبة تمر إلا ونوه بعظمة ابنته فاطمة (عليها السلام)، وشهد بمكانتها السامية عند الله سبحانه وتعالى وعند الرسول ﷺ وآله.

ولو لم يكن لها عند الله فضل عظيم، لم يكن الرسول ﷺ يفعل معها ذلك (لأنه لا ينطق عن الهوى).

وربما يكون إظهار فضلها وبيان مكانتها عند الله ورسوله للمسلمين لحثهم على المودة والتقدير لها مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣] لأنها البقية الباقية وأم الأئمة الطاهرين.

عن السيدة عائشة (رضي الله عنها) قالت: ما رأيت أحداً أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله ﷺ وآله من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت فقبلته وأخذت بيده فأجلسته في مكانها (١).

وعن حذيفة بن اليمان ؓ قال: دخلت عائشة على النبي ﷺ وآله وهو يقبل فاطمة (عليها السلام) فقالت له:

(١) كشف الغمة في معرفة الأئمة- على بن عيسى الأربلي-

٧٩/٢، سنن الترمذى ٦٥٧/٥ ح ٣٨٧٢، وسنن أبي داود

٣٥٥/٤ ح ٥٢١٧.

يا رسول الله أتقبلها وهي ذات بعل؟

فقال لها: (أما والله لو علمت ودى لها. إذن لأزددت لها حباً.. فاطمة حوراء أنسية، فإذا اشتقت إلى رائحة الجنة شممت ابنتي فاطمة) (١).

وسأله أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يوماً، فقال: (يا رسول الله، أنا أحب إليك أم فاطمة؟).

فقال: (أنت عندي أعز منها، وهي أحب منك) (٢).

وروى عنها (عليها السلام) قالت: لما نزلت ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ (النور: ٦٣) رغب رسول الله ﷺ وآله أن أقول له: يا أبة، فكنت أقول: يا رسول الله، فأعرض عني مرة أو اثنتين أو ثلاثاً، ثم أقبل على فقال: يا فاطمة! إنها لم تنزل فيكي ولا في نسلك، وأنت مني وأنا منك، إنما نزلت في

(١) كشف الغمة ٨٥/٢، وذخائر العقبى للطبري ص ٣٦، والمستدرک للحاکم ١٦٩/٣ ح ٤٧٣٨.

(٢) كشف الغمة ٨٨/٢، وأسد الغابة لابن الأثير ٢٢٤/٧ ح ٧١٧٥، ومجمع الزوائد للهيتمي ١٧٣/٩، ٢٠٢.

أهل الجفاء من قريش، قولي: يا أبة، فإنها أحيى للقلب وأرضى للرب) (١).

وسئلت السيدة عائشة (رضى الله عنها): من كان أحب الناس إلى رسول الله ﷺ وآله؟
فألت: فاطمة.

قيل: إنما سألك عن الرجال!
قالت: زوجها (٢).

وسأل بزل الهروى الحسين بن روح قال: كم بنات رسول الله ﷺ؟ قال أربع. فقال: أيتهن أفضل؟ قال: فاطمة، قال: ولم صارت أفضل وكانت أصغرهن سنناً وأقلهن صحبة لرسول الله ﷺ؟ قال: لخصلتين خصها الله بهما:

١- إنها ورثت رسول الله ﷺ.

٢- ونسل رسول الله منها، ولم يخصصها بذلك إلا

(١) بيت الأحران ١٩/١، وموسوعة المصطفى والعترة، حسين الشاكري ج ٤ ص ١٧٩.

(٢) كشف الغمة ٨٨/٢.

بفضل إخلاص عرفه من نيتها.

وعن حذيفة قال: كان رسول الله ﷺ وآله لا ينام حتى يقبل عرض وجه فاطمة(١).

وكان رسول الله ﷺ وآله إذا سافر، فأخر عهده إتيان فاطمة، وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة(٢).

ويقول النبي ﷺ آله: (فاطمة بضعة مني، يربيني ما رابها، ويؤذني ما أذاها) (٣).

قال السمهودي- بعد إيراد حديث فاطمة بضعة مني يؤذيني ما أذاها ويربيني ما أرابها-: فمن آذى شخصاً من أولاد فاطمة أو أبغضه جعل نفسه عرضة لهذا الخطر العظيم، وبضده (وبالعكس) من تعرض لمرضاتها في حبه وإكرامهم.

(١) كشف الغمة ٢/٩٣.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ٣/٣٣٢، وأبو داود ٤/٨٧ ح ٤٢١٣، وأحمد ٦/٣٧٠ ح ٢١٨٥٨.

(٣) صحاح البخاري ح ٣٥١٠، ومسلم ٥/٥٤ ح ٩٤، والترمذي ح ٣٨٦٩، ومسنده أحمد/٤ ص ٣٢٨.

وقال السهيلي: هذا الحديث يدل على أن سبها كفر، ومن صلى عليها فقد صلى على أبيها، واستنبط أن أولادها مثلها لأنهم بضعة مثلها، وفك الفرع من أصله هو فك الشيء من نفسه وهو غير ممكن ومحال، باعتبار أن ذلك الفرع هو الشخص المعمول من مادة ذلك الأصل ونتيجته المتولدة منه.

نقول: لعل المقصود من الخطر العظيم الذي ذكره السمهودي هو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾ (الأحزاب: ٥٧) وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة: ٦١).

يقول الإمام أبو العزائم رحمته في كتابه النجاة في سيرة رسول الله:

(وفي قول المصطفى ﷺ: (فاطمة بضعة مني) إشارة إلى أنها تحمل خصائص وصفات النبي ﷺ التي أفرده ربه بها دون سائر الخلق، ولها من الفضل والعطايا ما لأبيها ﷺ، لأن البضعة هي القطعة من اللحم).

ولا شك أن النبي ﷺ وآله كان يحب السيدة فاطمة حباً جماً حتى عدله البعض في ذلك، والحب عند النبي ليس حباً أعمى (والعياذ بالله) لأنه ﷺ وآله ﴿لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤). و﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٣، ٤)، وإنما كان يحب السيدة فاطمة كل هذا الحب، لعلمه بمقامها الشامخ، ولأنها أم الأئمة ومنبع الولاية والإمامة، وأنها المرأة النموذجية في الإسلام، والمحفوظة من كل ذنب وذنس، ولا يعرفها حق المعرفة إلا الله ورسوله والإمام على، وهى الإشعاع الملائكى فى الأرض، ومبعث النور السماوى الملكوتى التى يشم فيها الرسول ﷺ وآله رائحة الجنة كلما اشتقها.

تسمية السيدة فاطمة (عليها السلام)

تعتبر تسمية المولود، من سنن الله تعالى فى خلقه، وقد سمي الله تبارك وتعالى آدم وحواء (عليهما السلام) يوم خلقهما، وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ٣١). وقد سار الناس على هذه السنة والسيره، وتفننوا فى وضع الأسماء على مواليدهم نظراً للظروف والأذواق

والمستويات المختلفة باختلاف العصور والأجيال. أما أولياء الله فإنهم يعيرون التسمية اهتماماً كبيراً ويهدفون من ورائه غاية عظيمة، لأن الإنسان ينادى ويدعى باسمه، وللاسـم تأثير عميق فى نفسه، وشتان بين الاسم الحسن الجميل ذى المدلول الطيب، وبين الاسم السيء القبيح.

فهذه امرأة عمران ولدت بنتاً فقالت: ﴿إِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ (آل عمران: ٣٦). كما اختار الله سبحانه وتعالى لنبيه يحيى ﷺ هذا الاسم قبل أن تتعقد نطفته، يقول تبارك وتعالى فى كتابه المجيد: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ (مريم: ٧) ومعلوم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، فإذا عرفت هذا هلم معنا لنستعرض طائفة كبيرة من الأحاديث التى تذكر اسم السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ووجه التسمية لها، وإنما سميـت بفاطمة لأسباب ومناسبات موضوعية، روعى فيها مدلول الاسم وعلاقته بالمسمى وصدقه عليه (مصادقته).

أسماء السيدة فاطمة

(عليها السلام) وألقابها وكنائها

يقال لها في الأرض: فاطمة، البتول، الحصان، الحرة، السيدة، العذراء، الزهراء، الحوراء، المباركة، الطاهرة، الزكية، الراضية، المرضية، المحدثّة، مريم الكبرى، الصديقة الكبرى.

ويقال لها في السماء: النورية، السماوية، الحانية^(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: (جدتي فاطمة تسعة أسماء عند الله عز وجل:

فاطمة، الصديقة، الزهراء، الطاهرة، الزكية، الراضية، المرضية، المباركة، المحدثّة).

وكانت تلقب بالزهراء والبتول.

وكانت تكنى بأُم الحسن والحسين، وأُم أبيها، وأم

الأئمة.

(١) المناقب لابن شهر آشوب ج٣: ١٣٣. بحار الأنوار-العلامة

محمد باقر المجلسي- ١٥/٤٣ ح١٥.

فاطمة:

قال النبي ﷺ وآله: (شقَّ اللهُ لكِ يا فاطمة اسماً من أسمائه، فهو الفاطر وأنتِ فاطمة)^(١).

وفي الجزء العاشر من بحار الأنوار عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: (لما ولدت فاطمة (عليها السلام) أوحى الله -عز وجل- إلى ملك فأنطق به لسان النبي، فسامها فاطمة، ثم قال: إني فطمتك بالعلم، وفطمتك عن الطمث).

عن الإمام الرضا عليه السلام: قال رسول الله ﷺ وآله: يا فاطمة أتدريين لم سميت فاطمة؟".

قال الإمام علي عليه السلام: "لم سميت؟".

قال: (لأنها فطمت هي وذريتها من النار يوم القيامة) (الطبري في ذخائر العقبي، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة).

وقال الإمام علي عليه السلام: (إنما سميت فاطمة لأن الله فطم من أحبها عن النار).

(١) البحار ج٤٣ ص١٦.

وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي عن طريق أئمة أهل البيت عليهم السلام وأعلام الحفاظ والرواة فى صحاحهم ومسانيدهم فى مغزى تسمية السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وهم يؤكدون أن تسميتها بفاطمة لأن الله سبحانه وتعالى فطمها وذريتها ومحبيها من النار يوم القيامة، كما فطمها من الطمث والدنس وحفظها من المعاصى ٠٠٠منهم:

(١) الخوارزمى فى (مقتل الحسين) ص ٥١.

(٢) والطبرى فى (ذخائر العقبى).

(٣) والقندوزى الحنفى فى (بنابيع المودة) ص ١٩٤.

(٤) الصفورى الشافعى فى (نزهة المجالس).

وقال المولى محمد على الأنصارى (رحمه الله):

إن اختلاف الأخبار فى بيان وجه التسمية إشارة إلى عدم انحصاره فى شيء؛ أو كون معناها معنى كلياً يشتمل على وجوه كثيرة فيحتمل أن يكون ملحوظاً فى وجه التسمية أمور على حدة أيضاً، كفطمها عن الأخلاق الرذيلة بالأخلاق الفاضلة، وعن الأحوال الخبيثة بالأحوال

وقال النبي ﷺ وآله: (إنما سميت ابنتى فاطمة لأن الله فطمها وطم محبيها عن النار) (الخوارزمى فى مقتل الحسين، ص ٥١).

قال الصادق عليه السلام: "تدرى أى شيء تفسير فاطمة؟ قال: فطمت من الشر".

ويقال: إنما سميت فاطمة لأنها فطمت عن الطمث.

عن محمد بن مسلم الثقفى قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (لفاطمة عليها السلام وقفة على باب جهنم، فإذا كان يوم القيامة كتب بين عيني كل رجل: مؤمن أو كافر، فيؤمر بمحب قد كثر ذنوبه إلى النار، فنقرأ فاطمة بين عينيه محباً، فنقول: إلهى وسيدى سميتى فاطمة وفطمت بى من تولانى وتولى ذريتى من النار، ووعدك الحق، وأنت لا تخلف الميعاد.

فيقول الله عز وجل: صدقت يا فاطمة، إنى سميتك فاطمة، وفطمت بك من أحبك وأحب ذريتك وتولاهم من النار ووعدى الحق وأنا لا أخلف الميعاد... الحديث (١).

(١) بحار الأنوار: ٤٣ ص ١٤-١٥.

الطيبة الذكيّة، وعن الأفعال القبيحة بالأفعال الحسنة، وعن الظلمانية بالنورانية، وعن السهو والغفلة بالذكر والمعرفة، وعن عدم العصمة بالمعصومية، وبالجملة عن جميع جهات النقيصة بالكمالات العقلانية والروحانية والنفسانية ولوازمها الظاهرية والباطنية. فيلزم حينئذ أن تكون لها العصمة الكبرى في الدنيا والآخرة، فتكون حينئذ معصومة تقية وليّة صديقة مباركة طاهرة إلى آخر الأسماء المذكورة في الرواية وغير الرواية^(١).

ولهذا فإن الأئمة عليهم السلام يهتمون بهذا الاسم الشريف اهتماماً بالغاً ويكرمونه إكراماً عظيماً، وإذا سمعوا به يبكون ويتأسفون، ويحبون التي تُسمى به، ويحبون بيتاً يكون فيه اسم فاطمة.

فقد ورد عن فضالة بن أيوب، في الوسائل ج ٧ عن السكوني قال:

دخلت على أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأنا مغموم مكروب، فقال لي: "يا سكوني ما غمك؟".

(١) اللعة البيضاء، ص ٣٧-٣٨.

فقلت: ولدت لي ابنة.

فقال: "يا سكوني، على الأرض ثقلها، وعلى الله رزقها، تعيش في غير أجلك، وتأكل من غير رزقك"، فسرى والله عني. فقال: ما سميتها؟". قلت: فاطمة.

قال: "آه آه آه"، ثم وضع يده على جبهته - إلى أن قال -: "أما إذا سميتها فاطمة فلا تسبها ولا تلعنها ولا تضربها".

وعن سليمان الجعفرى قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: (لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسم محمد أو أحمد أو علي أو الحسن أو الحسين أو جعفر أو طالب أو عبد الله أو فاطمة من النساء)^(١).

البتول:

قال ابن المنظور في لسان العرب: سئل أحمد بن يحيى عن فاطمة (رضوان الله عليها) بنت سيدنا رسول

(١) سفينة البحار - عباس القمي - ج ١، ص ٦٦٢.

الله ﷺ، لم قيل لها: البتول؟

فقال: (لانتقطاعها عن نساء أهل زمانها ونساء الأمة عفاً وفضلاً ودينياً وحسباً).

وقيل: لانتقطاعها عن الدنيا إلى الله - عز وجل.

وقيل: تبتيل خلقها إنفراد كل شيء عنها بحسنه لا يتكل بعضه على بعض. قال ابن الأعرابي: المبتلة من النساء: الحسنة الخلق، لا يقصر شيء عن شيء، لا تكون حسنة العين سمجة الأنف، ولا حسنة الأنف سمجة العين، ولكن تكون تامة.

وقال ابن الأثير في نهايته: وامرأة بتول: منقطعة عن الرجال لا شهوة لها فيهم، وبها سميت مريم أم المسيح (عليها السلام).

سميت فاطمة (البتول) لانتقطاعها عن نساء زمانها فضلاً ودينياً وحسباً. وقيل: لانتقطاعها عن الدنيا إلى الله تعالى.

وقال الطريحي في مجمع البحرين: والبتول فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ قيل: سميت بذلك لانتقطاعها

إلى الله وعن نساء زمانها فضلاً وحسباً ودينياً.

وروى عن النبي ﷺ: (سميت فاطمة بتولاً لأنها تبتلت وتقطعت عما هو معتاد العورات في كل شهر، ولأنها ترجع كل ليلة بكراً. وسميت مريم بتولاً لأنها ولدت عيسى بكراً)^(١).

وعنه ﷺ: (وإنما سميت فاطمة (البتول) لأنها تبتلت من الحيض والنفاس)^(٢).

وعن علي بن أبي طالب قال: إن النبي ﷺ سئل: ما البتول؟ فأنا سمعناك - يا رسول الله - تقول: إن مريم بتول، وفاطمة بتول؟

فقال: (البتول التي لن تر حمرة قط - أي لم تحض - فإن الحيض مكروه في بنات الأنبياء)^(٣).
يقول الإمام المجدد أبو العزائم رحمته الله:

(١) إحقاق الحق - الشهيد التستري تعليق آية الله المرعشي النجفي - ج ١٠ ص ٢٥.

(٢) ينابيع المودة - القندوزي الحنفي - ص ٢٦٠.

(٣) معاني الأخبار - الصدوق - ص ٦٤، والحاكم في المستدرک.

إلى البتول بمولاي الحسين لقد
توسل الفرع فى نيلى وإمدادى
وبالبتول إلى طه الحبيب لقد
تشفع الفرد فى وردى وإسعادى

المباركة:

عن عبد الله بن سليمان قال: قرأت فى الإنجيل فى
وصف النبى ﷺ: نكاح النساء، ذو النسل القليل، إنما نسله
من مباركة لها بيت فى الجنة، لا صخب فيه ولا نصب،
يكفلها فى آخر الزمان كما كفل زكريا أمك، لها فرخان
مستشهدان.

وقال ابن المنظور فى لسان العرب: البركة: النماء
والزيادة... وعن الزجاج: المبارك: ما يأتى من قبله
الخير الكثير. وهى عليها السلام خير كثير وهى الكوثر.

المحذثة:

المحذث- بالفتح-: أى ملهم، أو صادق الظن، وهو
من ألقى فى نفسه شيء على وجه الإلهام والمكاشفة من

الملا الأعلى، أو من يجرى الصواب على لسانه بلا
قصد، أو تكلمه بلا نبوة، أو من إذا رأى رأياً أو ظنَّ ظناً
أصاب، كأنه حدث به وألقى فى روعه من عالم الملكوت
فيظهر على نحو ما وقع له. وهذه كرامة يكرم الله بها من
شاء من صالح عباده، وهذه منزلة جليلة من منازل
الأولياء^(١).

عن إسحاق بن جعفر بن محمد بن عيسى بن زيد بن
على قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (إنما سميت
فاطمة محدثة لأن الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها
كما تنادى مريم بنت عمران فتقول:

يا فاطمة إن الله اصطفاك وطهرتك على نساء العالمين.
يا فاطمة أقنتى لربك واسجدى واركعى مع
الراكعين^(٢). فتحدثهم ويحدثونها.

فقالن لهم: أليست المفضلة على نساء العالمين مريم
بنت عمران؟ فقالوا: إن مريم كانت سيدة نساء عالمها،

(١) فيض القدير- العلامة عبد الرؤوف المناوى- ج٤ص٥٠٧.

(٢) إشارة إلى الآية ٤٢ و٤٣ من سورة آل عمران.

وَأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ سَيِّدَةَ نَسَاءِ عَالَمِكَ وَعَالِمَهَا، وَسَيِّدَةَ نَسَاءِ
الْأُولَى وَالْآخِرِينَ (١).

وعن عبد الله بن الحسن المؤدّب، عن أحمد بن علي
الأصفهاني، عن إبراهيم بن محمد النقي، عن إسماعيل
ابن بشار قال: حدثنا علي بن جعفر الحضرمي بمصر
منذ ثلاثين سنة. قال: حدثنا سليمان. قال: محمد بن أبي
بكر لما قرأ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾
(الحج: ٥٢) ، ولا محدث.

قلت: وهل يحدث الملائكة، إلا الأنبياء؟

قال: إن مريم لم تكن نبيّة وكانت محدّثة، وأمّ موسى
ابن عمران كانت محدّثة ولم تكن نبيّة، وسارة امرأة
إبراهيم قد عاينت الملائكة فبشروها بإسحاق، ومن وراء
إسحاق يعقوب، ولم تكن نبيّة، وفاطمة بنت رسول الله
ﷺ، كانت محدّثة ولم تكن نبيّة (٢).

(١) بحار الأنوار للمجلسي، ٤٣، ص ٧٨.

(٢) البحار، ج ٤٣، ص ٧٩، وموسوعة المصطفى والعترة، للشاكري،
ج ٤ ص ٥٥.

الزهراء :

وعن أبي هاشم العسكري قال: سألت صاحب العسكر
عليه السلام: لم سميت فاطمة (الزهراء)؟ فقالت: "كان وجهها
يزهر لأمير المؤمنين عليه السلام من أول النهار كالشمس
الضاحية، وعند الزوال كالقمر المنير، وعند غروب
الشمس كالكوكب الدرّي" (١).

عن ابن عمارة عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام
عن فاطمة لم سميت (زهراء)؟

فقال: (لأنها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها
لأهل السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض) (٢).

يقول الإمام أبو العزائم عليه السلام:

يا بني الزهراء أنتم عترتي

أنتم ذخري وكنزى ونجدي

يا بني الزهراء من أمكم

راجياً يحظى بنيل النعمة

(١) البحار، ج ٤٣، ص ١٦، والموسوعة المصدر السابق.

(٢) البحار، ج ٤٣، ص ١٢، والموسوعة المصدر السابق.

يا بنى الزهراء حبى لكم

طمأن القلب بنور الحجة

يا بنى الزهراء لى أمل ولى

نسبة صحت بنور حقيقة

يا بنى الزهراء المودة سادتى

فى القرابة نص محكم آية

ودّكم يا آل طه أرتجى

أسعدوا مضى بمعنى النسبة

يا بنى الزهراء كفاكم شرفاً

آية القرآن فرحى بهجتى

الراضية:

إنّ السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) كانت راضية

بما قُدر لها من مرارة الدّنيا ومشقاتها ومصائبها ونوائبها.

أو لرضاها عن الله تعالى فيما أعطاها من القرب

والمنزلة والطهارة، وغير ذلك من المراتب العالية فى

الدّنيا والبرزخ والآخرة من حيث الجاه والمنزلة والنعمة

والشرف والفضيلة.

المرضية:

وهى المرضية لأنّ جميع أعمالها وأفعالها مرضية عند الله وعند رسوله ﷺ، ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (١). آية فى شأنها، ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (٢) حديث عنها (عليها السلام).

وقد ذُكر فى تزويجها (عليها السلام) أنها سألت رسول الله ﷺ خادماً... إلى أن قيل: ثم غزا رسول الله ﷺ ساحل البحر فأصاب سببياً، فقسّمه، فأمسك امرأتين إحداهما شابة والأخرى دخلت فى السن ليست بشابة، فبعث إلى فاطمة، وأخذ بيد المرأة فوضعها بيد فاطمة وقال: يا فاطمة هذه لك وأوصاها بها وقال: فإنى رأيتها تصلى وأن جبريل نهانى أن أضرب المصلين، وجعل رسول الله ﷺ يوصيها بها. فلما رأت فاطمة (عليها

(١) سورة البينة: ٨.

(٢) سورة الفجر: ٢٨.

السلام) ما يوصيها بها، التفتت إلى رسول الله ﷺ وقالت:
"يا رسول الله، علىَّ يوم وعليها يوم".

ففاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء وقال: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ
حَيْثُ يُجْعَلُ رِسَالَتُهُ﴾^(١)، ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢)، والظاهر إنها كانت المؤمنة فضة والله
العالم.

الطاهرة:

عن أبي جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: "إنما
سميت فاطمة بنت محمد ﷺ (الطاهرة) لطهارتها من كل
دنس، وطهارتها من كل رفت، وما رأيت قط يوماً حمرة
ولا نفاساً"^(٣).

وعن الصادق عليه السلام قال:

"إن الله حرم النساء على عليٍّ ما دامت فاطمة حية،

لأنها طاهرة لا تحيض"^(٤). وقال العلامة الأميني (رحمه
الله): إن سدَّ الأبواب الشارع في المسجد كان لتطهيره
عن الأذناس الظاهرية والمعنوية، فلا يمر به أحد جنباً،
ولا يجنب فيه أحد، وأما ترك بابه ﷺ وباب أمير
المؤمنين عليه السلام فلطهارتهما عن كل رجس وذنس بنص
آية التطهير.

وقوله ﷺ: (ألا إنَّ مسجدي حرام على كلِّ حائض من
النساء وكلِّ جنب من الرجال إلا على محمد وأهل بيته:
عليّ وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم
أجمعين)^(١)).

وقوله ﷺ: (ألا لا يحلُّ هذا المسجد لجنب ولا لحائض
إلا لرسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين، ألا قد
بينت لكم الأسماء أن لا تضلوا)^(٢)...

فزبدة المخض من هذه كلها أن إبقاء ذلك الباب والأذن
لأهله بما أذن الله لرسوله مما خص به مبيتٍ على نزول

(١) و(٢) سنن البيهقي، ج ٧ ص ٦٥.

(١) سورة الأنعام: ١٢٤.

(٢) سورة آل عمران: ٣٤.

(٣) و(٤) البحار، ٤٣ ص ١٦، ١٩.

آية التطهير النافية عنهم كل نوع من الرجاسة^(١).

الصدّيقة:

الصدّيقة: فعيلة للمبالغة في الصدق والتصديق، أي كانت كثيرة التصديق لما جاء به أبوها ﷺ، وكانت صادقة في جميع أقوالها، مصدّقة أقوالها بأفعالها.

عن علي بن جعفر، عن أخيه، عن أبي الحسن ﷺ قال: (إن فاطمة (عليها السلام) صدّيقة شهيدة)^(٢).

وقال الصادق ﷺ: "وهي الصدّيقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون"^(٣).

وعن النبي ﷺ في حديث طويل:

(يا علي: إنّي قد أوصيت فاطمة بأشياء وأمرتها أن تلقبها إليك، فأنفذها، فهي الصادقة الصدوقة، ثمّ ضمّها إليه وقبّل رأسها وقال: فداك أبوك يا فاطمة"^(٤)).

(١) الغدير- عبد الحسين الأميني النجفي- ج٣ ص٢١١.

(٢) مرآة العقول- المجلسي- ج٥ ص٣١٥.

(٣) البحار ج٤٣ ص١٠٥.

(٤) البحار ج٢٢ ص٤٩١.

وعن مفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: من غسل فاطمة (عليها السلام).

قال: ذلك أمير المؤمنين ﷺ، فكأنما استضقت (استفظعت) ذلك من قوله، فقال لي: كأنك ضقت ممّا أخبرك به؟

فقلت: قد كان ذلك جعلت فداك؟

فقال: "لا تضيقنّ فإنّها صدّيقة لم يكن يغسلها إلاّ صدّيق، أما علمت أنّ مريم لم يغسلها إلاّ عيسى؟"^(١).

وأما كناها (عليها السلام)

قال العلامة ابن شهر آشوب رحمه الله:

وكناها: أمّ الحسن، وأمّ الحسين، وأمّ الأئمة، وأمّ أبيها^(٢).

(١) الوسائل- الحر العاملي- ج٢ ص٧١٤-٧١٥، والموسوعة ج٤

ص٩٥.

(٢) المناقب، ج٣ ص٣٥٧.

ويخصها بالزيارة عند كل عودة إلى المدينة ويودعها منطلقاً عنها في كل أسفاره ورحلاته، وكأنه يتزود من هذا النبع الصافي عاطفة لسفره كما يتزود الولد من أمه، ونلاحظ من جهة أخرى أنّ السيدة فاطمة عليها السلام تحتضنه وتضمد جروحه، وتخفف آلامه كالأم المشفقة الرؤوم.

وخلاصة القول: فإن كل ما يجده الولد في أمه من العطف والرفقة والشفقة والأنس، فهو ﷺ يجده في السيدة فاطمة (عليها السلام) (١).

ونقل المولى الأنصارى رحمه الله: إن النكتة في هذه التكنية إنما هي محض إظهار للمحبة، فإن الإنسان إذا أحب ولده أو غيره وأراد أن يظهر في حقه غاية المحبة قال: (يا أماه) في خطاب المؤنث، و(يا أباه) في خطاب الذكر، تنزيلاً لهما بمنزلة الأم والأب في المحبة

(١) فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى - الهمداني - ص ٢٠٤.

وقال العلامة الأربلي رحمه الله: كان النبي ﷺ يعظم شأنها، ويرفع مكانها، وكان يكنيها بأم أبيها (١).

وقال المولى الأنصارى رحمه الله: وذكر بعضهم أنّ من جملة كناها: أمّ الخيرة، وأم المؤمنين، وأم الأخيار، وأم الفضائل، وأم الأزهار، وأم العلوم، وأم الكتاب (٢).

وقال في نخبة البيان: فمنها أم أسماء، ذكره الخوارزمي في مقتله، ولعله لتعدد أسمائها الحاكية عن صفاتها العليا ومناقبها العظمى (٣).

لماذا كُنيت بـ (أم أبيها)؟!

قد يكون السرّ في تكنيتها بأم أبيها هو أنه ﷺ كان يعاملها (عليها السلام) معاملة الولد أمه، وأنها تعامله معاملة الأم ولدها، كما أن التاريخ يؤيد ذلك والأخبار تعضده، ففي الأخبار الكثيرة أنه ﷺ كان يقبل يدها

(١) كشف الغمة: ج ١ ص ٤٦٢.

(٢) اللعة البيضاء: ص ٥٠.

(٣) نخبة البيان في تفضيل سيده النسوان: للمولى الأنصارى، ص ٨٦.

قد قدر، فالنبي ﷺ على علم من أنه لن يعقب إلا من الزهراء، فستكون هي التيار الذي يحمل نوره الفياض، عن طريق الورثة المحمديين - في كل عصر - فكان يعاملها معاملة الأم، فيقبل يدها ويخصها بالزيارة عند كل عودة منه إلى المدينة، فهو ﷺ لا يهب الألقاب عبثاً ولا يمنح الكنى تشهياً، وإنما هي الحكمة تضع الشيء في موضعه، وسيان في هذا للعمود من النور المتطاوّل برأسه إلى عنان السماء أن تكون السيدة فاطمة بنتاً لأبيها وأماً له، وسيان في دوحة الشرف أصل وفرع، ما دام الجميع يهب من إشعاعه وتدفعه ما يعجز الغير عن اللحوق به).

وإليك جملة من الألقاب والكنى الأخرى للسيدة الكبرى "فاطمة":

ابنة الصفة، إحدى الكبر، أرومة العناصر، أعز البرية، أم الأبرار، أم الأخيار، أم الأزهار، أم الأطهار، أم الأنوار، أم البدرين، أم البررة، أم البرية، أم التقى، أم

والحرمة على ما هو معروف في العرف والعادة^(١).
أو أن الله - عز وجل - لما شرف وكرم أزواج النبي ﷺ بتكنيتهن بأمهات المؤمنين صرن في معرض أن يخطر ببال بعض الناس أنهن أفضل النساء حتى من بضعة المصطفى فاطمة الزهراء عليها السلام، ولأجل ذلك كناها أبوها بأم أبيها صوتاً عن هذه الخواطر الوسوس، يعنى يا نساء النبي أن كنتن أمهات المؤمنين فاطمة عليها السلام أم النبي أم المصطفى، أو الرسول، أم أبيها، والفرق بين المقامين يوضحه رسول الله ﷺ بقوله: (أنا من نور الله والمؤمنون من فيض نوري)^(٢).

يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم رحمته الله في كتابه النجاة في سيرة رسول الله:

(وعندى: إنه من الطبيعي أن تكون الزهراء أمّاً للرسول ﷺ في رسالته لا في ولادته، ولعله لأمر

(١) اللعة البيضاء، ص ٥٠.

(٢) الشفاء للقاضى عياض.

شرف الأبناء، شفيعة الأمة، الشفيعة يوم القيامة،
الشمس المضيئة، الشهيدة.

الصائمة في النهار، الصابرة في المحن، صاحبة
الأحزان الطويلة.

صاحبة الجنة السامية، صاحبة المصحف، الصادقة في
السر والعلن، الصديقة الكبرى، صفوة الشرف، الطاهرة
في الأفعال، الطاهرة الميلاد، ظل الله الممدود. العابدة
التقية العارفة بالأشياء، العالمة بما كان وما يكون، عالية
الهمة، العذراء، عروة الوثقى، العفيفة، عقيلة الرسالة،
عبيبة العلم، عين الحجة، عين الحياة، الغرة، الغراء.
الفاضلة الفضلى. فخر الأئمة، فلذة كبد المصطفى.

القائمة في الليل، القانتة، القانعة، القدوة المسددة، قرة
عين الخلائق، قلادة الوجود.

الكريمة في النفقة، كلمة الله التامة، كلمة التقوى،
الكلمة الطيبة، الكوكب الدرى، ليلة القدر.

مبشرة الأولياء، المتعوبة في الدنيا، المتهجدة، محترقة
القلب، مريم الكبرى، المزوجة في الملأ الأعلى، مشكاة

الحسن، أم الحسين، أم الخيرة، أم الرافة، أم الريحانتين،
أم السبطين، أم العطية، أم العلا، أم العلوم، أم الفضائل،
أم الكتاب، أم المحسن، أم المؤمنين، أم الموانح، أم
النجباء، أم النقى، أم النورين، أمة الله، آية الله، آية الله
العظمى.

باكية العين، برزخ النبوة والولاية، بقية النبوة، بهجة
الفؤاد، تفاحة الفردوس، التقية، ثمرة النبوة، جمال الآباء،
الجميلة الجليلة، حاملة البلوى، حبها خير العمل، حبيبة
المصطفى، حجة الله الكبرى، الحرة، الحصان (أى المرأة
العفيفة)، خامسة أهل العبا، الخيرة من الخير، درة
التوحيد، الدعوة المستجابة، ربيبة مكة، الرشيدة، ركن
الدين، روح بين جنبى المصطفى، ريحانة النبى، زجاجة
الوحي، زوجة ولى الله الأعظم، الزهراء، زين الفواطم.

ستر الله الكبرى، سفينة النجاة، سلالة الرضوان،
سلالة الفخر، سماء الكواكب الدرية، السيدة، سيدة بنات
آدم سيدة نساء الأولين والآخرين، سيدة نساء الجنة، سيدة
نساء الأمة.

الأنوار، معدن الحكمة، المعروفة في السماء، معصبة الرأس، المعصومة، الممتحنة، المنصورة، المنعوتة في الإنجيل، المهنددة الركن، الموصوفة بالبر والتبجيل، موطن الرحمة، مهجة العالم، مهجة قلب المصطفى، الميمونة. الناطقة بالشهادتين عند الولادة، النبيلة، نجمة إكليل النبوة، نخبة أبيها، النعمة الجليلة، نور الأنوار، النورية، نساء النبي.

والدة الحجج، والدة الحسن والحسين، الوالهة الثكلى، الوحيدة الفريدة، وديعة الرسول، وعاء المعرفة، ولية الله العظمى، الوليدة في الإسلام، ينابيع الحكمة، ينبوع العلم^(١).

وهذه منظومة تضمنت أكثر أسماء الزهراء عليها السلام وألقابها ونعوتها التي نعنتها بها العلماء والخطباء:

ألقاب بنت المصطفى كثيرة

نظمت منها نبذة يسيرة

(١) عوالم العلوم، للأبطحي، وفاطمة الزهراء- عبد الله عبد العزيز الهاشمي ص ٥١، ٥٢.

نفسى فداها وفدا أبيها

وبعلها الولي مع بنيتها

سيدة إنسية حوراء

نوريه حانية عذراء

كريمة رحيمة شهيدة

عفيفة قانعة رشيدة

شريفة حبيبة محترمة

صابرة سليمة مكرمة

ميمونة منصوره محتشمة

جميلة جليلة معظمة

حاملة البلوى بغير شكوى

حليفة العبادة والتقوى

حبيبة الله وبنت الصفوة

ركن الهدى وآية النبوة

شفيعه العصاة أم الخيرة

تفاحة الجنة والمطهرة

سيدة النساء بنت المصطفى

درة بحر العلم والكمال
 جوهرة العزّة والجلال
 قطب رحى المفاخر السنينة
 مجموعة المآثر العلية
 مشكاة نور الله والزجاجة
 كعبة الآمال لأهل الحاجة
 ليلة قدر، ليلة مباركة
 إينة من صلت به الملائكة
 قرار قلب أمها المعظمة
 عالية المحل سر العظمة

أمينة النبي - ﷺ - وآله - خديجة

الذرية هي الامتداد الطبيعي للإنسان في هذه الدنيا
 الفانية، والإنسان يسعى للحصول على الذرية وتربيتها
 بحكم الغريزة التي فطره الله عليها.
 وهذا من أسرار الكون التي تدفع الإنسان للاحتفاظ
 بنسله ونوعه، وإلا انقرضت البشرية وأنهى الموت

صفوة ربها وموطن الهدى
 قرّة عين المصطفى وبضعته
 مهجة قلبه كذا بقيته
 عابدة زاهدة قوامه
 باكية صابرة صوامه
 عطوفة رؤوفة حنانه
 البرة الشفيقة الأنانة
 والدة السبطين دوحه النبي
 نور سماوى وزوجة الوصى
 بدر تمام غرة غراء
 روح أبيها درة بيضاء
 واسطة قلادة الوجود
 درة بحر الشرف والجد
 ولية الله وسر الله
 أمينة الوحي وعين الله
 مكينة فى عالم السماء
 جمال الأباء شرف الأبناء

وجودها عن وجه الأرض.

والرسول الأكرم -ﷺ وآله- وزوجته خديجة كانا يتمنيان الولد الصالح، فخديجة التي قدمت كل شئ في سبيل الله، وسلمت أمرها بلا أى قيد أو شرط لله ولرسوله، كانت تطمح إلى ولد صالح من صلب سيدنا ومولانا محمد -ﷺ وآله- ليكون ناصرا لرسالة الدين، وحاميا لأهدافه السامية، وحاملا لراية الحق بعد وفاة أبيه. ولكن الأجل كان - للأسف- يعاجل أبناء سيدنا محمد -ﷺ وآله ويوافيهم وهم صغار، فلم يبق منهم أحد، وهم عبد الله، والقاسم فيحزن الرسول -ﷺ وآله وخديجة- لذلك - حزنا شديدا، ويفرح الأعداء ويشمتون ويظنون أن نسل سيدنا محمد قد انقرض فينادونه بالأبتر أحيانا(١).

الكوثر

أنزل الله سبحانه وتعالى سورة الكوثر:

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٤. تفسير جوامع الجامع للطبرسى ص ٥٢٩.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ* إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر ١-٣)
رداً على أعداء رسوله ﷺ وآله، ووفاء بوعده، والله لا يخلف الميعاد، وسرعان ما رزقه الله ذرية طاهرة مباركة تنتهى إليها الفضائل، وتعبق بالجلال والكمال، حينما ولدت السيدة الزهراء (عليها السلام)، وأشرق أفق الحياة بنور الولاية وشعاع الإمامة، وبشر الرسول -ﷺ وآله- بها، فغمرتة السعادة والسرور، وانتشى قلبه بحمد الله، وطفح البشر على قسماته المباركة، واطمأن وسكن لتحقيق وعد الله.

وحاشا لنبي الرحمة ﷺ وآله أن يكون كأولئك السفهاء الجهلة من رجال الجاهلية الذين: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ* يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (النحل: ٥٨ - ٥٩).

كيف وهو رسول الله ﷺ وآله الذى بعث لأمة كانت تأكل الفد وتند البنات بلا ذنب، وترى المرأة عيا وعورة،

ليغير أفكارها، ويمحو آثارها، ويحارب عقائدها البالية. ويقدم المرأة إلى المجتمع لتتحمل مسؤولياتها، وتخوض عباب الحياة، وتؤدي وظائفها ومسؤولياتها التي أنيطت بها بما يناسب طبيعتها الخاصة وتكوينها، وتكون عضوا مؤثرا في الوسط الذي تعيش فيه.

وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يبين مكانة المرأة وقيمتها في الإسلام، فجعل ذرية النبي ﷺ وآله في ابنته، وقدر أن يكون أئمة الدين وقادة الناس أجمعين منها. وبذلك تهدمت صروح الجاهلية الرعناء التي اعتبرت المرأة عاراً يجب التخلص منه، ووصمة لا بد من التخلص منها، وأنكرت أن تكون البنات من الذرية^(١).

ففي تفسير سورة الكوثر:

والقول الثالث: الكوثر أولاده. قالوا: لأن هذه السورة إنما أنزلت ردا على من عابه ﷺ وآله بعدم الأولاد،

فالمعنى أنه يعطيه نسلا يبقون على مر الزمان، فانظر كم قتل من أهل البيت، ثم العالم ممتلئ منهم ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يعبأ به! ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا (عليهم السلام) والنفس الزكية وأمثالهم^(١).

وقال أيضا: إنا إذا حملنا الكوثر على كثرة الأتباع أو على كثرة الأولاد وعدم انقطاع النسل كان هذا إخبارا عن الغيب، وقد وقع مطابقا له، فكان معجزا^(٢).

وقال الألوسي في تفسير ﴿إِنَّ شَانَنَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾: الأبتَر الذي لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر، وأما أنت فتبقى ذريتك.. عليه دلالة على أن أولاد البنات من الذرية^(٣).

ويستفاد من كليهما أن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وسيلة لكثرة أولاده وبقاء نسله ﷺ وآله، وأن

(١) التفسير الكبير - فخر الدين الرازي - ٣٢ ص ١٢٤.

(٢) التفسير الكبير، ٣٢ ج ص ١٢٨.

(٣) روح المعاني ج ٣٠ ص ٢٤٧.

(١) فاطمة الزهراء النموذجية في الإسلام/ إبراهيم أميني/ ترجمة على جمال الحسيني.

ذريتها ذريته وأولادها أولاده، وهذا من أعظم بركاتها (عليها السلام).

وقال العلامة الطباطبائي رحمه الله: إن كثرة ذريته ﷺ وآله هي المرادة وحدها بالكوثر الذي أعطاه النبي ﷺ وآله، أو المراد بها الخير الكثير، وكثرة الذرية مرادة في ضمن الخير الكثير، ولولا ذلك لكان تحقيق الكلام بقوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ خاليا عن الفائدة.

وقد استفاضت الروايات أن السورة إنما نزلت فيمن عابه ﷺ وآله بالأبتر بعدما مات ابنه القاسم، وعبد الله، وبذلك يندفع ما قيل: إن مراد الشانئ بقول: (أبتر) المنقطع عن قومه أو المنقطع عن الخير، فرد الله عليه بأنه هو المنقطع من كل خير، ولما في قوله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ من الامتنان عليه ﷺ وآله جئ بلفظ المتكلم مع الغير الدال على العظمة، ولما فيه من تطيب نفسه الشريفة أدت الجملة (إن) وعبر بلفظ الإعطاء الظاهر في التملك، وبالجملة لا تخلو من دلالة على أن ولد السيدة فاطمة (عليها السلام) ذريته ﷺ وآله، وهذا من

ملاحم القرآن الكريم، فقد كثر الله - تعالى - نسله بعده كثرة لا يعادلهم فيها أي نسل آخر، مع ما نزل عليهم من النوائب، وأفنى جموعهم من المقاتل الذريعة^(١).

وقال العلامة القزويني: ووجه المناسبة أن الكافر شمت بالنبي ﷺ وآله حين مات أحد أولاده وقال: إن محمدا أبتر، فإن مات مات ذكره.

فأنزل الله هذه السورة على نبيه ﷺ وآله تسلياً له، كأنه - تعالى - يقول: إن كان ابنك قد مات فإننا أعطيناك فاطمة، وهي وإن كانت واحدة وقليلة ولكن الله سيجعل هذا الواحد كثيراً^(٢).

ورى عن النبي ﷺ وآله قال: (إن الله - عز وجل - جعل ذرية كل نبي في صلبه، وإن الله عز وجل - جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب)^(٣).

(١) الميزان - الذهبي - ج ٢ ص ٣٧٠ - ٣٧١.

(٢) فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد - القزويني - ص ٨٦.

(٣) كفاية الطالب - الكنزي الشافعي - ص ٣٧٩، المعجم الكبير

للطبراني ٤٣/٣، ح ٢٦٣٠.

وقال ﷺ وآله أيضا في حديث طويل: (يا فاطمة، ما بعث الله نبيا إلا جعل له ذرية من صلبه، وجعل ذريتي من صلب علي، ولولا علي ما كانت ذرية) (١).

وروى الخطيب عن عبد الله بن عباس قال: كنت أنا وأبي العباس بن عبد المطلب جالسين عند رسول الله ﷺ وآله إذ دخل علي بن أبي طالب، فسلم فرد عليه رسول الله ﷺ وآله وبش به وقام إليه واعتقه وقبل بين عينيه وأجلسه عن يمينه.

فقال العباس: يا رسول الله، أحب هذا؟

فقال النبي ﷺ وآله: (يا عم رسول الله، والله الله أشد حبا له مني، إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه، وجعل ذريتي في صلب هذا) (٢).

عن حميد بن صالح، مرفوعا، عن الإمام جعفر بن محمد الصادق قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن الحسين بن علي (عليهما السلام) قال: قال رسول الله ﷺ وآله:

(١) المصدر السابق.

(٢) تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي - ج ١ ص ٣١٦-٣١٧.

(فاطمة بهجة قلبي، وابناها ثمرة فؤادي، وبعلمها نور بصرى، والأئمة من ولدها أمناء ربي وحبله الممدود بينه وبيد خلقه، من اعتصم به نجا، ومن تخلف عنه هوى) (١).

وعن الإمام علي بن موسى الرضا قال: حدثني أبي موسى بن جعفر قال: حدثني أبي جعفر بن محمد الصادق قال: حدثني أبي محمد بن علي الباقر قال: حدثني أبي علي بن الحسين قال: حدثني أبي الحسين، عن أبيه علي ابن أبي طالب عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ وآله: (إن الله عز وجل ليغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها) (٢).

(١) فرائد السمطين في فضائل المرتضى والزهراء والسبطين، للجويني الحمويني الشافعي، ج ٢ ص ٦٦.

(٢) فرائد السمطين، ج ٢ ص ٤٦، ومستدرک الصحيحين للحاكم ج ٣ ص ١٥٢، وميزان الاعتدال للذهبي ١/٥٣٥ ح ٢٠٠٢.

الفصل الثاني

السيدة الزهراء فى بيت الزوجية

انتقلت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلى البيت الزوجى، وكان انتقالها من بيت الرسالة والنبوة إلى دار الإمامة والولاية، وحصل تطور فى سعادة حياتها، فبعد أن كانت تعيش تحت شعاع النبوة صارت قرينة الإمامة. كانت حياتها فى البيت الزوجى تزداد إشراقاً وجمالاً، إذ كانت تعيش فى جو تكتنفه القداسة والنزاهة، وتحيط به عظمة الزهد وبساطة العيش، وكانت تعين زوجها على أمر دينه وآخرته، وتتجاوب معه فى اتجاهاته الدينية، وتتعاون معه فى جهوده وجهاده.

وما ألقى الحياة الزوجية إذا حصل الانسجام بين الزوجين فى الاتجاه والمبدأ ونوعية التفكير، مبنياً على أساس التقدير والاحترام من الجانبين.

وليس ذلك بعجيب، فإن السيدة فاطمة الزهراء تعرف لزوجها مكانته العظمى ومنزلته العليا عند الله تعالى،

وتحترمه كما تحترم المرأة المسلمة إمامها؛ بل أكثر وأكثر، فإن السيدة فاطمة كانت عارفة بحق على حق معرفته، وتقدره حق قدره، وتطيعه كما ينبغى، لأنه أعز الخلق إلى رسول الله.

لأنه صاحب الولاية العظمى، والخلافة الكبرى، والإمامة المطلقة.

لأنه أخو رسول الله وخليفته، ووارثه ووصيه.

لأنه صاحب المواهب الجليلة، والسوابق العظيمة.

وهكذا كان الإمام على (عليه السلام) يحترم السيدة فاطمة الزهراء احتراماً لائقاً بها، لا لأنها زوجته فقط: بل لأنها أحب الخلق إلى رسول الله.

لأنها سيدة نساء العالمين.. لأن نورها من نور رسول الله.

لأنها من الذين بهم فتح الله كتاب الإيجاد والوجود، لأنها كتلة من العظمة.

لأنها مجموعة من الفضائل، ولو كانت فضيلة واحدة من تلك الفضائل متوفرة فى امرأة واحدة لاستحقت التقدير

والتعظيم.

فكيف بالسيدة فاطمة الزهراء، وقد اجتمعت فيها من المزايا والمواهب والفضائل والمكارم ما لم تجتمع في أية امرأة في الوجود، من حيث النسب الشريف الأرفع، والروحانية والقدسية، من حيث بدء الخلقة ومنتشاً إيجادها وكرامتها عند الله، وعبادتها وعلمها وديانتها وزهداها وتقواها وطهارتها ونفسيها وشخصيتها، وغير ذلك من مئات المزايا مما يطول الكلام بذكرها.

بعد ما قصصنا وما لم نقصص عليك يمكن لك أن تدرك الجو الذي كان الزوجان السعيدان يعيشانه، والحياة الطيبة السعيدة الحلوة (بجميع معنى الكلمة) التي كانا يتمتعان بها: حياة لا تضطرب بالحوادث.

حياة يهب عليها نسيم الحب والوئام، وتزينها العاطفة بجمالها المدهش.

لم يعلم بالضبط مدة إقامة الإمام والسيدة فاطمة (عليها السلام) في دار حارثة بن النعمان، إلا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بنى لها بيتاً ملاصقاً لمسجده، له

باب شارع إلى المسجد، كبقية الحجرات التي بناها لزوجاته، وانتقلت السيدة فاطمة إلى ذلك البيت الجديد الملاصق لبيت الله، المجاور لبيت رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وقد تحملت فتاة الإسلام النموذجية في بيتها الجديد عند الإمام على بن أبي طالب قائد الجند، ووزير الرسول (صلى الله عليه وآله) ومشاوره الأول، وظائف جسيمة. ومسؤوليات عظيمة، إذ كان عليها أن ترسم معالم البيت الإسلامى النموذجى فى الإسلام بوضوح، وتعطي الدروس العملية لنساء العالم أجمع عن الوفاء والحب والانسجام وحسن التبعل وتربية الأبناء، والقيام بواجبات البيت والاحتفاظ بدفئه وحرارته وطراوته، فكانت القدوة الصالحة، وكانت حقيقة الدين النورانية، والإسلام المتحرك المشع المجسد فى الوسط النسوى والاجتماعى.

كانت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تسكن وتعيش فى بيت محاطا بالقداسة والروحانية والنور، وكان مبنيا على الاحترام المتبادل والتقدير، ولم يعرف حق ذلك

فعلى عليه السلام نموذج الرجل الكامل فى الإسلام، وفاطمة نموذج المرأة الكاملة فى الإسلام.

الإمام على بن أبى طالب- الرجل الذى ولد بلا طفولة- كبر وترعرع منذ نعومة أظفاره على يدى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وكان محور اهتمامه صلى الله عليه وآله، غذاه العلم والخلق والفضائل والكمالات، والسيدة الزهراء تربت فى أحضان النبى الطاهرة أيضا.

استأنست أذنهم الواعية منذ الصغر بالقرآن الكريم، وهم يسمعون النبى صلى الله عليه وآله وآله يرتله ليلا ونهارا وفى كل آن، وأطلوا على الغيب وارتشفوا العلوم والمعارف الإسلامية من معينها الأصيل ومنبعها العذب الزلال، ورأوا الإسلام يتحرك فى شخصية رسول الله صلى الله عليه وآله وآله.. فكيف إذن لا تكون أسرتهم النموذج الأمثل للأسرة المسلمة؟!.

كان بيت على وفاطمة (عليهما السلام) أروع نموذج فى الصفاء والإخلاص والمودة والرحمة، تعاوننا بوائم على إدارة شؤون البيت وإنجاز أعماله، وقد تقاضيا فى

البيت إلا كل من عرف حق السيدة فاطمة وبعلمها وبنيتها. روى الثعلبى فى تفسيره ومنه تفسير البرهان للبحرانى ج ٣ ص ١٣ عن أنس بن مالك وعن بريدة قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (١) فقام رجل فقال: أى البيوت هذه يا رسول الله؟ قال: (بيوت الأنبياء). فقام إليه أبو بكر، فقال: يا رسول الله! هذا البيت منها؟ وأشار إلى بيت على وفاطمة (عليهما السلام) قال: (نعم، من أفضلها!!) (٢).

إدارة البيت

بيت الإمام على والسيدة فاطمة (عليهما السلام)، هو البيت الوحيد الذى يضم بين جدرانه زوجين مطهرين منزهين عن ارتكاب الذنوب واكتساب المآثم، ويتصفان بالفضيلة الأخلاقية والكمال الإنسانى.

(١) سورة النور: آية ٣٦.

(٢) تفسير الدر المنثور- السيوطى- ٢٠٣/٦.

حسن التبعل

عاشت الزهراء (عليها السلام) فى بيت ثانى أعظم شخصية إسلامية، رجل الشجاعة القوى، فلولا سيف على ما قامت للدين قائمة.

عاشت (عليها السلام) فى بيت على عليه السلام فى ظروف حساسة وغاية فى الخطورة، يوم كانت جيوش الإسلام فى حالة إنذار دائم، وكانت تشتبك فى حروب ضروس فى كل عام، وقد اشترك الإمام على عليه السلام فيها جميعاً أو فى أكثرها.

والزهراء (عليها السلام) تعرف مسؤولياتها الثقيلة جيداً، ودورها ونفوذها فى التأثير على زوجها، فالمرأة لها نفوذ واسع على زوجها، ويمكنها أن توجهه إلى أى جهة تشاء. ومن الواضح أن سعادة الرجل وتعاسته، ورقيه وتراجعه، وانشراحه وكآبته، ونجاحه وفشله فى الحياة، لها علاقة وثيقة بالمرأة وتعاملها معه فى داخل البيت.

والبيت هو الملجأ الذى يلجأ إليه الرجل فراراً من

إبان حياتهما الزوجية إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وآله فى الخدمة ففضى عليه السلام وآله بخدمة فاطمة ما دون الباب، وقضى على على عليه السلام بما خلفه.

فقالَت السيدة فاطمة (عليها السلام): (فلا يعلم ما داخلنى من السرور إلا الله، بكفايتى رسول الله صلى الله عليه وآله وآله تحمل رقاب الرجال) (١).

نعم فخريجة مدرسة الوحي السيدة (فاطمة) تعلم أن البيت معقل المرأة ومن المواقع المهمة فى الإسلام، وإذا ما تخلت عنه وسرحت فى البيع والشراء، عجزت عن القيام بوظائف البيت وتربية الأبناء كما ينبغى، وهى الوظيفة الأولى للزوجة، فتهلل وجهها بالبشر وداخلها السرور حينما قضى الرسول - صلى الله عليه وآله - وآله - على عليه السلام بأداء الأعمال الصعبة خارج البيت..

ولم تستتكف وحيدة الرسول - وهى بنت أعظم خلق الله - من العمل فى البيت، ولم تتصل من أداء مهام البيت.

(١) بحار الأنوار، ٤٣ / ٨١، والموسوعة للشاكرى ج ٤ ص ١٣٢.

متاعب الحياة ومشاكل الدنيا ومصاعبها، ومصائب المجتمع وآلامه، ليستريح في ظلاله الوارفة، ويستعيد قواه ويتزود للقاء جديد مع الحياة خارج البيت، ويتحمل المهام والوظائف الملقاة على عاتقه، والمرأة هي المسؤول الأول عن هذا المنتجع، وقد جعل الله الزوجة سكن للرجل كما روى عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: (جهاد المرأة حسن التبعل)^(١).

والزهراء (عليها السلام) تعلم أن قائد الجيش الشجاع - على عليه السلام - يدخل ساحة الوغى وينتصر على عدوه ما سكن واطمأن لزوجته، وسعد وفرغ باله في بيته، فكان الإمام - وهو سيد المحاربين والمضحى من أجل الدين - يعود إلى البيت بجسد متعب مكدود، فيجد الدفاء والحنان والمودة في زوجته العزيزة، حين تضمد جراحه، وتغسل الدم عن جسده، وثيابه، وتسأله عن أخبار الحرب.

الزهراء (عليها السلام) كانت تقوم بكل هذه المهام، بل كانت تغسل الدم عن ثياب النبي عليه السلام وآله أحياناً.

(١) الوافي - الفيض الكاشاني - كتاب النكاح / ١١٤.

وروى أن النبي عليه السلام وآله وعلياً عليه السلام حينما عادا من غزوة أحد دفعا بسيفيهما إلى السيدة فاطمة وقالوا: (اغسلي عنهما الدم)^(١).

كانت الزهراء (عليها السلام) تشجع زوجها، وتمتدح شجاعته وتضحيته وتشد على يده لتعده للمعارك المقبلة وتسكن جراحه وتمتص آلامه، وتسرى عنه أتعبه، حتى قال الإمام على عليه السلام: (لقد كنت أنظر إليها فتتجلى عني الغموم والأحزان بنظرتي إليها)^(٢).

ما خرجت السيدة فاطمة من بيتها بدون إذن زوجها، وما أسخطته يوماً، لأنها تعلم أن الله لا يقبل عمل امرأة اسخطت زوجها حتى ترضيه^(٣).

الزهراء (عليها السلام) .. لم تغضب زوجها يوماً، وما عصت له أمراً حتى قال الإمام عليه السلام: (فوالله ما أغضبته ولا أكربتها من بعد ذلك حتى قبضها الله إليه، ولا

(١) سيرة ابن هشام ١٠٦/٣.

(٢) المناقب للخوارزمي / ٢٥٦.

(٣) الوافي، كتاب النكاح / ١١٤.

أغضبتنى ولا عصت لى أمرا(١).

وذكر الإمام عليه السلام ذلك فى لحظات عمر الزهراء (عليها السلام) الأخيرة حين قالت: (يا ابن عم، ما عهدتني كاذبة ولا خائنة، ولا خالفك منذ عاشرتني).

فقال: (معاذ الله، أنت أعلم بالله وأبر وأتقى وأكرم وأشد خوفاً منه، والله جددت على مصيبة رسول الله ﷺ وآله) وقد عظمت وفاتك وفقدك، فإننا لله وإنا إليه راجعون(٢).

من أجل هذا أحرز الإمام عليه السلام كل هذا التوفيق والنجاح والانتصار فى حياته.

هذه هى السيدة الزهراء (عليها السلام)، وأما الإمام على عليه السلام فلا يتصور أنه كان - والعياذ بالله - من الرجال المغرورين، الذى ينتظر من زوجته كل شئ ويعقد عليها آلاف الآمال والتوقعات، ولا يهتم بمسؤولياته وواجباته، ويتعامل معها معاملة الإماء والرقيق.

(١) المناقب للخوازمي / ٢٥٦.

(٢) بحار الأنوار، ٤٣ / ١٩١.

أبداً، لم يكن الإمام على عليه السلام كأولئك، وإنما كان وفيماً مخلصاً يجازى الإحسان بالإحسان، ويعلم أنه يقتحم الموت فى ساحة المعركة، وزوجته تجاهد من ورائه فى معقل البيت، وتقوم بكل مهام البيت فى غيابه.

وخلاصة القول: إنها كانت تدير بيتاً لا تقل إدارته عن إدارة دولة كاملة.

والإمام على عليه السلام يعلم أن الجندى المضحى الداخلى يحتاج إلى من يمسح بالحنان قلبه ويشجعه ويرفق به، فكان إذا دخل البيت سأل عما جرى فيه أثناء غيابه، وعما تحملته الزهراء (عليها السلام) من المشقة والعناء وينثر محبته ووده، فيزيل أتعاب الجسد، ويهدئ القلب بلطفه، ويواسيها ويعينها، ويدفعها بقوة للاستمرار فى العمل والحياة.

فالمراة تحتاج الرجل، كى يغدق عليها حبه وحنانه، ويشعرها بإخلاصه لها وتشجيعه إياها على ما تبذله من جهد، وتقوم به من دور، وذلك عين ما يحتاجه الرجل من المراة.

الفصل الثالث

السيدة فاطمة (عليها السلام) الأم

إن الأمومة من الوظائف الحساسة والمهام الثقيلة التي ألقيت على عاتق الزهراء (عليها السلام) خمسة أطفال هم: الحسن، والحسين، وزينب، وأم كلثوم، ومحسن- الذي سقط وهو جنين في بطن أمه- وبقي لها ولدان وبنتان، وقد قدر الله سبحانه أن يكون نسل رسول الله ﷺ وآله وذريته من السيدة فاطمة (عليها السلام).

قال رسول الله ﷺ وآله: (إن الله جعل ذرية كل نبي من صلبه خاصة وجعل ذريتي من صلب علي بن أبي طالب) (١).

لهذا تحملت السيدة فاطمة (عليها السلام) مسؤولية التربية، وقد تبدو لفظه (تربية الأطفال) مختصرة صغيرة ليس فيها كثير عناء، إلا أن معناها عميق وواسع وحساس

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٣/ ٣٨٧، وتاريخ بغداد للبغدادي ٣١٦/١ ح ٢٠٦.

هكذا عاش هذان الزوجان النموذجيان في الإسلام وأديا واجباتهما، وضربا المثل الأعلى للأخلاق الإسلامية السامية.

كيف لا؟ وقد قال النبي ﷺ وآله في ليلة الزفاف للإمام علي عليه السلام: (يا علي نعم الزوجة زوجتك).

وقال للسيدة فاطمة: (يا فاطمة نعم البعل بعلك) (١).

وقال ﷺ وآله: (لولا علي لم يكن لفاطمة كفاء) (٢).

وروت السيدة فاطمة (عليها السلام) عن أبيها أنه قال: (خيركم أئنيكم مناكبه وأكرمهم لنسائهم) (٣).

وقال الإمام علي عليه السلام صبيحة عرسه، حينما سأله النبي ﷺ وآله: (كيف وجدت أهلك؟).

قال: (نعم العون على طاعة الله) (٤).

(١) بحار الأنوار، ٤٣/ ١٣٢ و ١١٧.

(٢) كشف الغمة، ٩٨/٢.

(٣) دلائل الإمامة- الطبري- ص ٧.

(٤) بحار الأنوار، ٤٣/ ١١٧، وموسوعة المصطفى والعترة- حسين الشاكري- ج ٤ ص ١٣٩.

جدا.

فالتربية ليست مجرد أن يوفر الأب الطعام والشراب واللبس، ويسعى للحصول على لقمة العيش، بينما تهىء الأم الطعام وتغسل الملابس، وتراعى نظافة الطفل وما شاكل، وأن لا مسؤولية أخرى سوى هذه.

لا، أبدا، فالإسلام لا يكتفى بهذا الحد وإنما يجعل مسؤولية الأبوين أكبر بكثير في تربية الأبناء، حيث إن شخصية الطفل في حاضره ومستقبله مرهونة بتربية أبويه ومراقبتهم ومتابعتهم له، وكل صغيرة وكبيرة من حركاتهم وسكناتهم وأفعالهم وسلوكهم - كأبوين - تؤثر في روح الطفل الشفيفة، فهو يقلد أبويه، ويعكس سلوكهما تماما كالمراة.

من هنا أصبحت مسؤولية الأبوين مراقبة أطفالهم بدقة، والإعداد لمستقبلهم بجدية، وحماية فطرتهم السليمة من التلوث - لأن الله خلقهم على فطرة الإيمان -.

والزهراء (عليها السلام) رببية الوحي التي كبرت في أحضان النبوة، تعرف مناهج التربية الإسلامية، ولا تغفل

عنها وعن تأثيرها في الطفل، ابتداء من تغذيته من لبن أمه وقبلتها التي تطبعها على وجهه، إلى سلوكها وأفعالها وأقوالها.

تربي (عليها السلام) مثل الإمام الحسن عليه السلام ليتجرع الغصص في المواقف الحرجة، ويختار السكوت ويصالح معاوية، ويفهم العالم أن الإسلام يرجح السلام على الحرب، فيسقط ما في يد معاوية ويفشل ريحه، وتنتهي اللعبة التي أراد معاوية أن يمررها على المسلمين.

والزهراء (عليها السلام) تربي مثل الإمام الحسين عليه السلام الذي يضحي بنفسه وبكل أهله وأصحابه وأعدائه في سبيل الله ومن أجل الدفاع عن الدين، ومقارعة الظلم والظالمين، ليروي بدمه شجرة الإسلام.

وتربي نساء مثل السيدة زينب والسيدة أم كلثوم، وتعلمهن في مدرسة البيت دروس التضحية والفداء والصمود أمام الظالمين، حتى لا يرعن ولا يخضعن للظالم وقوته، ويقفن الحق، وتعلمهن كيف يعرضن مظلومية الإمام الحسين على الأسماع، فيبكي العدو

والمحب في ديوان بنى أمية، تعلمهن كيف يقفن تلك المواقف المشرفة، ويخطبن على الملأ بشجاعة، ويفضحن مخططات الأمويين وجرائمهم، ويحلمن دون تحقيق الظالم لأهدافه.

من هذه النماذج المعجزة تتجلى عظمة الزهراء (عليها السلام) وقوتها الروحية الفريدة.

نعم، لم تكن الزهراء (عليها السلام) من تلك النساء القاصرات الجاهلات- والعياذ بالله- لتتصور البيت بمحيطه الصغير الضيق وإنما كانت تحسب محيط البيت محيطا واسعا شاسعا مهما، باعتباره لإنتاج الإنسان الرسالي، وجامعة لتعليم دروس الحياة ومعسكر لتلقى تمارين التضحية والفداء التي سيطبقها في المجتمع الواسع خارج البيت.

والزهراء (عليها السلام) لم تشعر بعقدة النقص لأنها امرأة، فالمرأة- عندها- وجود مقدس له مكانته العالية، ومقامه الشامخ، وقد فوض الله إليها أصعب مسؤولية

وأثقل مهمة في الحياة^(١).

وهذه نماذج من غط حياتهما داخل البيت

عن أبي سعيد الخدرى قال: أصبح على بن أبي طالب (عليها السلام) ذات يوم ساغبا فقال: يا فاطمة هل عندك شئ تغذينيه؟ قالت: لا، والذي أكرم أبي بالنبوة وأكرمك بالوصية أوترك به على نفسى وعلى ابني هذين الحسن والحسين، فقال على: يا فاطمة ألا كنت أعلمتيني فأبغيتكم شيئا؟ فقالت: يا أبا الحسن إني لأستحي من إلهي أن أكلفك نفسك ما لا تقدر عليه^(٢).

وعن أبي عبد الله، عن أبيه عليهما السلام قال: (تقاضى على وفاطمة إلى رسول الله صلوات الله عليهم في الخدمة، قضى على فاطمة بخدمة البيت ما دون الباب، وقضى على علي بما خلفه، قال: فقالت فاطمة: فلا

(١) أنظر: فاطمة الزهراء المرأة النموذجية في الإسلام/ إبراهيم

أميني/ تعريب: على جمال الحسيني/ ٥٩-٦٨.

(٢) البخارى ٤٣ ص ٥١ و٥٩.

يعلم ما دخلنى من السرور إلا الله بإكفائى رسول الله
تحمل رقاب الرجال). ذكر ذلك الهمدانى صاحب كتاب
(فاطمة الزهراء) بهجة قلب المصطفى ص ٤٩٥.

المدرسة التربوية

بيت الزهراء (عليها السلام) مدرسة إسلامية تربوية
للطفل المسلم. مديرتها المرأة الأولى، الصديقة الطاهرة
السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ومعاونها على ابن
أبى طالب عليه السلام، أو ثانى رجل فى الإسلام، وبإشراف
مباشر من الرسول الأكرم عليه السلام وآله.

ومناهجها تنزيل من رب العالمين

وخريجوها خيرة البشرية وقدوة الإنسانية.

وهنا لابد من الاعتراف- للأسف الشديد- بأن التاريخ
لم يسجل لنا مفردات المنهج القويم، وذلك لأسباب منها:

أولاً: لأن المسلمين فى ذلك العصر كانوا مشغولين
بافتوحات الإسلام، ونشر دعوة الإسلام، فلم يهتموا كل
الاهتمام بالتربية والمناهج التربوية، ولم يراقبوا جزئيات
سلوك النبى عليه السلام وآله والإمام على والسيدة فاطمة (عليهما

السلام)، قولاً وفعلاً مع أبنائهم، كى يرووها للأجيال
القادمة.

وثانياً: إن أكثر البرامج التربوية للطفل تطبق داخل
البيت، وفى مثل هذه الحالة يكون الستار مسدولاً بوجه
الآخرين غالباً.

ولكن يمكن القول إجمالاً: إن مناهج الزهراء (عليها
السلام) فى التربية هى نفسها مناهج الإسلام الواردة فى
القرآن الكريم وأحاديث النبى عليه السلام وآله والأئمة (عليهم
السلام)، ومع هذا فإن الشذرات القليلة المروية يمكن- إلى
حد ما- أن تكشف لنا عن مناهج التربوى.

وجدير بالذكر، أننا الآن لسنا بصدد بيان الأصول
والمناهج التربوية بشكل مفصل، لأن المقام لا يسع هذا
التفصيل، ولكن نسير باختصار إلى ما ورد من أخبار
عما كانت الزهراء تفعله- كمناهج للتربية- مع أبنائها.

الدرس الأول: الحب والمودة

قد يتخيل البعض أن فترة التربية تبدأ فى حياة الطفل
حينما يبدأ بالتمييز بين الجيد والردئ، والحسن والقبيح،

ولا ثمرة للتربية قبل هذا الحين باعتباره لا يدرك شيئاً عن محيطه الخارجى وبيئته.

وهذا الرأى واضح الفساد، لأن علماء التربية يؤكدون أن ما يجرى من أحداث ووقائع فى بيئة الطفل أيام الطفولة المبكرة، وكذلك طريقة تعامل الأبوين، وكيفية الرضاعة، كلها تؤثر - بشكل وآخر - تأثيراً ملحوظاً على الطفل وبناء شخصيته فى المستقبل.

وقد ثبت لدى علماء النفس والتربية أن الطفل يحتاج أكثر ما يحتاج فى فترة الطفولة المبكرة والمتأخرة إلى الشعور بحب الآخرين واهتمامهم به، ويلمس حب أمه وأبيه وتعلقهما به، ولا يهتمه بعدها أن يعيش فى قصر أو كوخ خاو، ويلبس الشفوف أو الثياب المهلهلة، ويأكل ما لذ وطاب أو لا يأكل، ما دام يستشعر الدفء والعطف والحنان الذى يشبع إحساسه الداخلى، ويتدفق فيه ينبوعاً أخلاقياً فاضلاً يمدّه فى مستقبل عمره ويقوم شخصيته.

صدر الأم الرؤوم وحضنها الدافئ، وحب الأب الخالص وعطفه الشفيف، يفجران فيه ينباع الخير، وروح

التعاون، وحب الآخرين ومساعدتهم هذه المودة تنجيه من الضعف وخوف الوحدة، وتمنحه الأمل فى الحياة.

هذه القبلات الصادقة والمحبة العميقة الصافية، تزرع فيه بذور الخير والعادات الطيبة، وتفتح أمامه أفق النشاط الاجتماعى والتعاون وخدمة الآخرين، وتهديه نحو السعادة، وتنتشله من الاعتزال والهروب من الواقع.

هذا الحب يشعر الطفل بشخصيته واستحقاقه للحب والحياة. وعلى العكس تماماً ينشأ الطفل المحروم من الحب خائفاً فى الغالب، خجولاً، ضعيفاً، متشائماً، معتزلاً، خاملاً، كئيباً، وقد يشب مريضاً هزيلاً لا يقوى على شئ ويحاول - من خلال ردود فعل خطيرة - إثبات استغنائاه عن المجتمع، فيرتكب الجرائم، كالسرقة والقتل لينتقم من المجتمع الذى حرمه الحب والحنان واللمسة الرقيقة، ليفهم الجميع أنه ليس بحاجة لحبهم الذى بخلوا به عليه.

فالحب والحنان -إذن- من الحاجات الضرورية فى تربية الطفل، وقد طبق هذا الدرس بدقة متناهية فى بيت الزهراء (عليها السلام)، والرسول الأكرم ﷺ وآله علمه

لابنته عمليا.

فقد روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: لما حملت فاطمة الحسن فولدت، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وآله أمرهم أن يلفوه في خرقة بيضاء، فلفوه في صفراء، فجاء النبي صلى الله عليه وآله وآله فأخذه وقبله، وأدخل لسانه في فيه، فجعل الحسن عليه السلام يمسه، ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وآله: (ألم أتقدم إليكم أن لا تلفوه في خرقة صفراء) فدعا صلى الله عليه وآله وآله بخرقة بيضاء فلفه فيها ورمى بالصفراء.

فلما ولد الحسين جاء إليهم النبي صلى الله عليه وآله وآله ففعل به كما فعل بالحسن عليه السلام (١).

وروى أن النبي صلى الله عليه وآله وآله كان يصلى يوما في فئة والإمام الحسين صغير بالقرب منه، فكان النبي صلى الله عليه وآله وآله إذا سجد جاء الحسين فركب ظهره ثم حرك رجليه وقال:

(١) البحار، ٤٣/ ٢٤٠، وذخائر العقبى للطبري ص ١٢٠، وفضائل الخمسة للفيروز آبادي ج ٣ ص ١٧٠، ١٧٢، وأسد الغابة لابن الأثير ج ٥ ص ٤٨٣، والهيتمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٧٤.

(حل، حل)، فإذا أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وآله أن يرفع رأسه أخذه فوضعه إلى جانبه، فإذا سجد عاد على ظهره وقال: (حل، حل)، فلم يزل يفعل ذلك حتى فرغ النبي صلى الله عليه وآله وآله من صلاته.

فقال اليهودي: يا محمد! إنكم لتفعلون بالصبيان شيئا ما نفعله نحن.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وآله: (أما لو كنتم تؤمنون بالله ورسوله لرحمتم الصبيان).

قال: فإنني أؤمن بالله ورسوله، فأسلم لما رأى كرمه صلى الله عليه وآله وآله مع عظم قدره (١).

وذات يوم كان رسول الله صلى الله عليه وآله وآله يقبل الحسن والحسين (عليهما السلام) فقال الأقرع بن حابس: إن لي عشرة ما قبلت واحدا منهم قط، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وآله حتى التمع لونه، وقال للرجل:

(إن كان الله قد نزع الرحمة من قلبك فما أصنع بك؟!)

(١) البحار ٤٣/ ٢٩٦.

من لا يرحم صغيرنا ولا يعزز كبيرنا فليس منا(١).
وروى أن النبي ﷺ وآله مر على بيت السيدة فاطمة
(عليها السلام) فسمع الإمام الحسين يبكي، فقال: (ألم
تعلمى أن بكاءه يؤذيني)(٢).

وعن أبي هريرة: خرج رسول الله ﷺ وآله ومعه
الحسن والحسين هذا على عاتقه وهذا على عاتقه، وهو
يلثم هذا مرة وهذا مرة حتى انتهى إلينا، فقال له رجل: يا
رسول الله إنك لتحبهما؟.

فقال: (من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد
أبغضني)(٣).

وروى أن النبي ﷺ وآله كان يقول للسيدة فاطمة
(عليها السلام): (ادعى لى إبنى)، فيشمهما - كما يشم

(١) البحار ٤٣ / ٢٨٢، ورواه البخارى ومسلم والترمذى وأبو داود.

(٢) البحار ٤٣ / ٢٩٥، ومجمع الزوائد للهيثمى ج ٩ ص ٢٠١،
وذخائر العقبى للطبرى ص ١٤٣.

(٣) البحار ٤٣ / ٢٨١، ورواه ابن ماجه، وأحمد ج ٢ ص ٢٨٨.

الوردة العطرة - ويضمهما إليه(١).

وعن أبي هريرة قال: رأيت النبي ﷺ وآله يمص
لعاب الحسن والحسين كما يمص التمرة.

الدرس الثانى: تنمية الشخصية

قال علماء النفس: لا بد للمربى من أن ينشئ الطفل
على الثقة بالنفس والاحترام وعلو الهمة، ويشعره
بشخصيته وكيونته، لئبتعد عن الأعمال الشريرة، ولا
يركع للأيام ولا يخضع للذل والهوان، وبالعكس لو احتقره
المربى ولم يحترمه وحطم شخصيته، فإنه يشب جباناً
يعيش الهزيمة فى داخله، ولا يشعر بقيمة نفسه ولا يثق
بها، ولا يقدم على الأعمال الكبيرة لأنه يتضاعل أمامها
ويشعر بالعجز، والأشخاص من هذا القبيل لا يكون لهم
دور فى الحياة والمجتمع، ولا يتركون بصماتهم على
الأيام، وسرعان ما يركعون للذل والهوان، ويستسلمون

(١) البحار ٤٣ / ٢٩٩، والترمذى ج ٢ ص ٣٠٦، وعبد الرؤوف

المنأوى فى فيض القدير ج ١ ص ١٤٨.

للمصاعب.

وقد أوصى علماء النفس بجملة وصايا للمربين نذكر منها اثنتين:

أولاً: إحاطة الطفل بالحب والحنان وإظهار الاهتمام به، وقد ذكرنا هذه النقطة في الدرس الأول، وقلنا هناك: إن الإمام الحسن والإمام الحسين كانا يرضعان الحب والحنان الكافيين من أمهما، ويلمسانهما من جدهما وأبيهما.

ثانياً: لابد من تشجيع الطفل على الصفات الحميدة والتأكيد عليها بذكرها أمامه وأمام الآخرين، وتعليمه على القوة والعصامية في شخصيته.

وقد قال ﷺ وآله مراراً: (إن الحسن والحسين سيديا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما)^(١).

وقال ﷺ وآله: (الحسن والحسين ريحانتي من

(١) البحار ٤٣/ ٢٦٤، والحاكم في المستدرک ج ٣ ص ١٦٧، وصحيح ابن ماجة ج ١ ص ٥٦.

الدنيا)^(١).

وروى عن أبي بكر قال: سمعت النبي ﷺ وآله - على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة، وقال: (إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين)^(٢).

وعن جابر قال: دخلت على النبي ﷺ وآله والحسن والحسين (عليهما السلام) على ظهره وهو يجشو لهما ويقول: (نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما)^(٣).

وعن يعلى العامري، إنه خرج مع رسول الله ﷺ وآله إلى طعام دعى إليه، فإذا بحسين يلعب مع الصبيان،

(١) البحار ٤٣/ ٢٨١، والبخارى في كتاب بدء الخلق، وكتاب الأدب المفرد ص ١٤، والترمذى ج ٢ ص ٣٠٦.

(٢) البحار ٤٣/ ٣٠٥، والبخارى في الصلح، والنسائي ج ١ ص ٢٠٨، وأبو داود ج ٢٩ ص ١٧٣.

(٣) البحار ٤٣/ ٢٨٥، وذخائر العقبى ص ١٣٢، والهيثمي في مجمعه ج ٩ ص ١٨٢، والمتقى الهندي في كنز العمال ج ٧ ص ١٠٨.

فاستقبله النبي ﷺ وآله أمام القوم، ثم بسط يديه فوثب الصبي هنا مرة وهنا مرة، وجعل رسول الله ﷺ وآله يضحكه حتى أخذه، فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى تحت ففاه ووضع فاه على فيه، ثم قال: (حسين منى وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط)^(١).

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول للإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام): (أنتما إمامان بعقبى وسيدا شباب أهل الجنة، والمعصومان، حفظكما الله، ولعنة الله على من عاداكما)^(٢).

أنت السيدة فاطمة بابنيها الحسن والحسين (عليهما السلام) إلى رسول الله ﷺ وآله فقالت: (يا رسول الله، هذان إبنك فورثهما شيئا).

(١) البحار ٧٣ / ٢٧١، والترمذى ج ٢ ص ٣٠٧، وابن ماجه، وأحمد ج ٤ ص ١٧٢، والحاكم فى المستدرک ج ٣ ص ١٧٧.
(٢) البحار ٤٣ / ٢٦٥، وموسوعة المصطفى والعترة - حسين الشاكري - ج ٤ ص ١٥٧.

فقال: (أما الحسن فإن له هيبتي وسؤدى، وأما الحسين فإن له شجاعتى وجودى)^(١).

وعن سلمان الفارسى قال: كان الحسين عليه السلام على فخذ رسول الله ﷺ وآله وهو يقبله ويقول: (أنت سيد بن سيد أبو السادة، أنت الإمام ابن الإمام أبو الأئمة، أنت الحجة ابن الحجة أبو الحجج)^(٢).

نعم هكذا كان الرسول ﷺ وآله يكبر الطفل ويحترمه، ولا يحتقره أمام الآخرين ليتصاغر وتتهاولى شخصيته، وتبعه على ذلك -أيضا- الإمام على والسيدة فاطمة (عليهما السلام) ولهذا كان نتاج تربيتهم سادات البشر وأخيارهم.

(١) البحار ٤٣ / ٢٦٣، وأسد الغابة لابن الأثير ج ٥ ص ٤٦٧، وابن حجر فى الإصابة ج ٨ ص ٩٥، والمتقى الهندى فى الكنز ج ٤ ص ٥٩، والطبرانى ج ٧ ص ١١٠، والمحب الطبرى فى ذخائره ص ١٢٩.
(٢) البحار ٧٣ / ٢٩٥، وموسوعة المصطفى والعترة لحسين الشاكري ج ٤ ص ١٥٨.

الظالمين، وكشفت دسائس النظام الحاكم السفاك، بخطبها في الكوفة والشام، ولم تهين ولم تتكل ولم تنهزم أمام الطغاة.

الدرس الثالث: الإيمان والتقوى

اختلف العلماء في السن المناسبة لتلقى المفاهيم والعقائد الدينية:

فمنهم من قال: إن الطفل لا يستوعب هذه الأفكار إلا بعد اجتياز مرحلة البلوغ والرشد.

ومنهم من قال: إن المربي يمكنه أن يصوغ الأفكار والعقائد الدينية ويصبها في قوالب سهلة جزلة يستأنس بها الصبي ويتقبلها، ويكلف ببعض الأعمال الخفيفة السهلة ليشب عليها، حتى إذا ما ناهز سن البلوغ كان قد تعودها من قبل وليست غريبة عليه.

والإسلام يأخذ بالاتجاه الثانى، ويأمر أن يمرنوا الأطفال على الصلاة من سن السابعة. والرسول الأكرم ﷺ وآله لقن التعاليم الدينية- فى بيت الزهراء (عليها السلام) - منذ لحظات الطفولة الأولى والرضاعة، عندما

روى أن رجلاً أذنب فى حياة رسول الله ﷺ فتغيب حتى وجد الإمامان الحسن والحسين (عليهما السلام) فى طريق خال، فأخذهما فاحتملها على عاتقه، وأتى بهما النبى ﷺ وآله فقال: يا رسول الله، إنى مستجير بالله وبهما، فضحك رسول الله ﷺ وآله حتى رد يده إلى فمه، ثم قال للرجل: (اذهب فأنت طليق). وقال للحسن والحسين: (قد شفعتكما فيه أى فتیان)(١).

لهذا تربي الإمام الحسين عليه السلام كبير النفس، عظيم الهمة، فوقف مع صحبه المعدودين بوجه جيش يزيد وحاربهم بقوة واقتدار ولم يستسلم للذل والهوان، وإنما قال: (والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أفر فرار العبيد)(٢) وفى رواية أقر لكم إقرار العبيد.

ومن ثمار هذه التربية السيدة زينب (عليها السلام) - جبل الصبر والصمود- التى تحدث يزيد وأذنايه

(١) البحار ٤٣/ ٣١٨، وموسوعة المصطفى والعترة لحسين الشاكري ج ٤ ص ١٥٨.

(٢) مقتل أبى مخنف/ ٤٦، والموسوعة ج ٤ ص ١٥٨.

ولد الإمام الحسن عليه السلام أذن في أذنه اليمنى، وأقام فى اليسرى، ولما ولد الإمام الحسين عليه السلام جاء النبى ﷺ، ففعل به كما فعل بالحسن عليه السلام (١) ..

وعن أبى عبد الله الصادق عليه السلام قال: (إن رسول الله ﷺ وآله كان فى الصلاة وإلى جانبه الحسين بن على، فكبر رسول الله ﷺ وآله فلم يحر (يردد) الحسين التكبير، ولم يزل رسول الله ﷺ وآله يكبر ويعالج الحسين التكبير ولم يحر حتى أكمل سبع تكبيرات، فأحار الحسين التكبير فى السابعة (٢).

فالرسول الأكرم ﷺ وآله كان يولى هذا الإيحاء والتلقين الروحى أهمية كبيرة منذ لحظة الولادة، فأذن وأقام فى أذنى الحسن والحسين (عليهما السلام) ليكون ذلك درسا للمربين.

(١) البحار ٤٣ / ٢٤١، وصحيح الترمذى ج ١ ص ٢٨٦، ومستدرك الصحيحين للحاكم ج ٣ ص ١٧٩.

(٢) البحار ٤٣ / ٣٠٧، وموسوعة المصطفى والعترة ج ٤ ص ١٥٩.

والسيدة الزهراء (عليها السلام) أيضا كانت تلاعب الإمام الحسن عليه السلام وتقول:

أشبه أباك يا حسن وأخلع عن الحق الرسن
واعبد إلها ذا منن ولا توال ذا الاحن (١)
ولو أمعنا النظر فى هذه البيتين لوجدناهما يحتويان على نكات أربعة مهمة لقتتها السيدة الزهراء (عليها السلام) لابنها:

١- كن كأبيك عبدا لله، شجاعا.

٢- أعبد الله وحده.

٣- دافع عن الحق.

٤- لا توال ذا الاحن.

وكان النبى ﷺ وآله يهتم اهتماما بالغاً بالتقوى، ويراقب أبناءه ويحاذر عليهم من أى طعام فيه أذى إشكال أو شبهة.

ففى رواية عن أبى هريرة: إن النبى أتى بتمر من تمر

(١) البحار ٤٣ / ٢٦٨، والموسوعة ج ٤ ص ١٦٠.

ولد الزهراء (عليها السلام) فوقفت السيدة أم كلثوم (عليها السلام) ذلك الموقف الذى حكى صنع جدها رسول الله ﷺ وآله فى الكوفة، فكانت تأخذ الخبز والتمر والجوز من أيدي الأطفال وترميها، وهى تقول: يا أهل الكوفة، إن الصدقة محرمة علينا أهل البيت (١).

الدرس الرابع: الالتزام بالنظم ورعاية حقوق الآخرين

من الأمور التى ينبغى للوالدين والمربين جميعاً الالتفات إليها، هى مراقبة الطفل مراقبة دقيقة، لكى لا يتجاوز على الآخرين، ويحترم حقوقهم، ويتعلم النظم فى شؤون حياته، ولا يعجز عن استرداد حقوقه، ولا يبخس الناس أشياءهم.

والأبوان يربيانه على هذا الخلق من خلال تعاملهم مع أبنائهم - فى البيت - معاملة صادقة عادلة، لا ظلم فيها لأحد، ولا يؤثران بعضهم على بعض، ولا يفرقان بين

(١) مقتل أبى مخنف/ ٩٠، والموسوعة ج ٤ ص ١٦١.

الصدقة، فجعل يقسمه، فلما فرغ حمل النبى الصبى وقام، فإذا الحسن فى فيه تمرة يلوكها، ففطن له رسول الله ﷺ وآله فأدخل إصبعه فى فى الصبى فانزع التمرة ثم قذفها، وقال: (إنا آل محمد لا نأكل الصدقة) (١).

هذا، مع أن الإمام الحسن عليه السلام بعد صبى لم يبلغ الحلم ولم يكلف، ولكنه عليه السلام وآله يعلم أن الأكل الحرام يؤثر تأثيراً موضوعياً على روح الطفل، وينبغى أن يعرف الطفل منذ سنينه الأولى أن هناك حراماً وحلالاً وقيوداً فى الأكل.

بالإضافة إلى أنه عليه السلام وآله أكد شخصية الإمام الحسن عليه السلام وطيب منبته، فالزكاة حق المحرومين، وتدل على عز المعطى وذل الأخذ، وليس لمثل الإمام الحسن عليه السلام أن يأكل منها.

وهكذا مزج عليه السلام وآله العظمة والشرف وأشربهما فى

(١) ينابيع المودة، ص ٤٦، والبحار ٤٣/ ٣٠٥، وصحيح البخارى فى الزكاة، وصحيح مسلم فى كتاب الزكاة، ورواه الإمام أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٢٧٩.

الولد والبنت، والصغير والكبير، والجميل والقيبح، والذكي والخامل في التودد والتحبب إليهم، كى لا تنمو بذور الحقد والحسد والغيرة.

فالطفل الذى تراعى فى بيته حقوق الأفراد، يعرف أن عليه احترام حقوق الآخرين فى الخارج، وعلى العكس إذا ما كان البيت تسوده الفوضى والتفرقة، فإنه سوف يتربى على الاعتداء والتجاوز وظلم الآخرين.

ولو أن طفلا تجاوز أثناء دخوله أو خروجه من المدرسة أو ركوبه فى السيارة أو أى مكان آخر على حق صاحبه وأخذ نوبته، وسكت عنه والداه أو مربيه فإنهم بسكوتهم يخونون الطفل، حيث إنه يتصور أن القوة والتعدى نوع من أنواع الشطارة والفن، فإذا ما دخل المجتمع، أو تصدى لمسؤولية ما، فإنه سيظلم ويتعدى ويسحق حقوق الآخرين، ولا يفكر إلا بمصلحته.

وقد نفذ هذا الدرس بدقة فى بيت الزهراء (عليها السلام)، ونذكر الرواية التالية كنموذج:

عن أمير المؤمنين على عليه السلام قال: (رأينا رسول الله

صلى الله عليه وآله وآله قد أدخل رجله فى اللحاف أو فى الشعار، فاستقى الحسن عليه السلام فوثب النبي صلى الله عليه وآله وآله إلى منيحة لنا فمص من ضرعها فجعله فى قدح ثم وضعه فى يد الحسن، فجعل الحسين عليه السلام يثب عليه ورسول الله صلى الله عليه وآله وآله يمنعه، فقالت فاطمة: كأنه أحبهما إليك يا رسول الله؟! قال: ما هو بأحبهما إلى ولكنه استقى أول مرة وإنى وإياك وهذين وهذا المنجدل يوم القيامة فى مكان واحد^(١).

الدرس الخامس: الرياضة واللعب

يوصى علماء التربية أن يترك الأطفال لحالهم فى اختيار اللعب التى يهونونها وعلينا أن نوفر لهم الوسائل السليمة، وقد تنبه أخيرا- ما يسمى العالم المتمدن- لهذه الحقيقة، فوفروا ألعابا مسلية سليمة فى دور الحضانة والمدارس الابتدائية والثانوية بما يناسب مراحلهم وأعمارهم؟ وصاروا يشجعونهم على الألعاب الجماعية، لما لهذه الألعاب من تأثير عميق على رشد أجسادهم

(١) بحار الأنوار ٤٣ / ٢٨٣، والموسوعة ج ٤ ص ١٦٢.

وأرواحهم.

بينما يتوقع البعض من الأطفال أن يتصرفوا كما لو كانوا كبارا ويمنعونهم من اللعب ويحاسبونهم على تصرفاتهم الطفولية، ويسمون هذا تربية. فإذا كان الطفل لعوبا حركا اتهموه بسوء الأدب، وإذا كان منزويا خاملا لا يلعب ولا يتحرك امتدحوه وشجعوه على سكونه وهدوئه!!

لكن علماء النفس يعدون هذا خطأ كبيرا ويعتبرون سكون الطفل وخموله دليلا على مرضه روحيا وفسولوجيا، على أن لا يكون لعبه مضرا أو مزاحما للآخرين.

بل على الأبوين أن يتصابوا لهم ويلعبوهم فى أوقات فراغهم، لأن الطفل يستشعر الحب فى ذلك، وكان رسول الله ﷺ وآله يلعب مع الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام).

روى عن أبى هريرة: أن رسول الله ﷺ وآله أخذ بيديه جميعا بكتفى الحسن والحسين، وقدماهما على قدم

رسول الله ﷺ وآله، وقال: ترق عين بقة، قال: فرقا الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ وآله. ثم قال له: (افتح فاك ثم قبله). ثم قال: (اللهم أحبه فإنى أحبه)^(١).

وعن أبى هريرة أيضا قال: اصطرع الحسن والحسين فقال رسول الله ﷺ وآله: (إيها حسن). فقالت فاطمة (عليها السلام): يا رسول الله تقول إيها يا حسن، وهو أكبر الغلامين).

فقال رسول الله ﷺ وآله: (أقول إيها حسن ويقول جبرئيل: إيها حسين)^(٢).

وعن جابر قال: دخلت على النبى ﷺ وآله والحسن والحسين (عليهما السلام) على ظهره، وهو يجثو لهما

(١) بحار الأنوار ٤٣/ ٢٨٦، والاستيعاب لابن عبد البر ج ١ ص

١٤٤، والبخارى فى الأدب المفرد.

(٢) بحار الأنوار ٤٣/ ٢٦٥، وأسد الغابة لابن الأثير ج ٢ ص ١٩،

وابن حجر فى الإصابة ج ٢ ص ١٥.

ويقول: (نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما)^(١).
وعن الرضا عليه السلام عن آبائه قال: (إن الحسن والحسين
(عليهما السلام) كان يلعبان عند النبي صلى الله عليه وآله وآله حتى
مضى عامة الليل.

ثم قال لهما: انصرفا إلى أمكما، فبرقت برقعة في
السماء فما زالت تضيء لهما حتى دخلا على فاطمة (عليها
السلام) والنبي صلى الله عليه وآله وآله ينظر إلى البرقة، فقال: الحمد لله
الذي أكرمنا أهل البيت)^(٢).

وفي الاستيعاب لابن عبد البر ج ١ ص ٣٨٤، عن
الإمام علي، قال: (كان الحسن أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله
وآله ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه الناس
بالنبي صلى الله عليه وآله وآله ما كان أسفل من ذلك).

وفي تهذيب ابن عساكر ج ٤ ص ٢٠٩، عن ابن
مسعود، قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وآله إذ مر الحسن
والحسين وهما صبيان، فقال: (هاتوا ابني أعوذهما بما

(١) سبق تخريجه.

(٢) بحار الأنوار ٤٣/٢٦٦، والموسوعة ج ٤ ص ١٦٤.

عوذ إبراهيم ابنه إسماعيل وإسحاق) فضمهما إلى صدره
وقال: (أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة
ومن كل عين لامة)^(١).

(١) صحيح البخارى فى كتاب بدء الخلق، والترمذى ج ١ ص ٦،

وأبو داود ج ٣٠ ص ١٨٠.

الفصل الرابع بعض فضائل

السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

عن سلمان قال النبي ﷺ: (يا سلمان.. من أحب فاطمة بنتي فهو في الجنة معي، ومن أبغضها فهو في النار. يا سلمان.. حب فاطمة ينفع في مائة من المواطن، أيسر تلك المواطن: الموت، والقبر، والميزان، والصراف والمحاسبة.

فمن رضيت عنه ابنتي فاطمة رضيت عنه، ومن رضيت عنه رضى الله عنه. ومن غضبت عليه ابنتي فاطمة غضبت عليه، ومن غضبت عليه غضب الله عليه، يا سلمان.. ويل لمن يظلمها ويظلم بعلمها أمير المؤمنين علياً، وويل لمن يظلم نريتها ومحبيها^(١).

وروى أن النبي ﷺ قال وهو أخذ بيد السيدة فاطمة

(١) فرائد السمطين للحمويني الشافعي، وفاطمة الزهراء لعبد الله الهاشمي، ص ١١٢.

(عليها السلام): (من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة مني وهي قلبي وروحي التي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله)^(١).

وقال ﷺ وآله: (إن لكل بنى أب عصابة ينتمون إليها إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم، وهم خلقوا من طينتي ويل للمكذبين بفضلهم، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله). [أخرجه ابن عساكر عن جابر - يعنى عن النبي صلى الله وآله وسلم، والمتقى الهندي فى كنز العمال ج ٦ ص ٢١٦].

وجاء فى الرياض النضرة للمحب الطبرى ج ٢ ص ٢٠٢، روى أبو سعيد فى شرف النبوة إن رسول ﷺ وآله قال لعلى عليه السلام: (أوتيت ثلاثاً لم يؤتتهن أحد ولا أنا، صهراً مثلى ولم أوت أنا مثلى، وأوتيت زوجة صديقة مثل ابنتى ولم أوت مثلها زوجة، وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أوت من صلبى مثلهما، ولكنكم

(١) كشف الغمة ٢/٩٢، والفصول المهمة لابن الصباغ.

منى وأنا منكم).

وعن أبي الحسن على بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آباءه، عن علي (عليهم السلام) قال: قال لى رسول الله ﷺ وآله: (يا على لقد عاتبنى رجال من قریش فى أمر فاطمة وقالوا: خطبناها إليك فمنعتنا وزوجت علينا؟ فقلت لهم: والله ما أنا منعتكم وزوجته، بل الله منعكم وزوجه، فهبط على جبريل (عليه السلام) فقال: (يا محمد إن الله جل جلاله يقول: لو لم أخلق علياً لما كان لفاطمة ابنتك كفاء على وجه الأرض)(١).

وجاء فى صحيح البخارى فى كتاب بدء الخلق فى باب علامات النبوة فى الإسلام، روى بسنده عن السيدة عائشة (رضى الله عنها) قالت: أقبلت فاطمة (سلام الله عليها) تمشى مشيتها مشية النبى ﷺ وآله، فقال النبى ﷺ وآله: مرحباً بابنتى ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثاً فبكت، فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثاً فضحكت، فقلت: ما رأيت كالיום فرحاً أقرب من

(١) البحار ٤٣/١٤٥، والموسوعة ٩٣/٤.

حزن، فسألتهما عما قال، فقالت: ماكنت لأفشى سر رسول الله ﷺ وآله حتى قبض النبى ﷺ فسألتهما، فقالت: أسر إلى: جبريل كان يعارضنى القرآن كل سنة مرة وإنه عارضنى العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتى لحاقاً بى فيكيت، فقال: أما ترضين أن تكونى سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين؟ فضحكت لذلك(١).

بوح الأسرار

عن الإمام موسى بن جعفر عن أبيه (عليهما السلام): لما كانت الليلة التى قبض النبى فى صبيحتها، دعا علياً وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وأغلق عليه الباب. وقال: يا فاطمة، وأدناها منه فناجاها من الليل طويلاً، فلما طال ذلك خرج على ومعه الحسن والحسين

(١) رواه أحمد فى مسنده ٢٨٢/٦، وابن سعد فى الطبقات ٤٠/٢، وابن الأثير فى أسد الغابة ٥٢٢/٥، والنسائى فى الخصائص ص ٣٤.

وأقاموا بالباب والناس خلف الباب، ونساء النبي ينظرن إلى علي عليه السلام ومعه إبناه.

قال علي: فما لبثت أن نادتنى فاطمة (عليها السلام) فدخلت علي النبي صلى الله عليه وآله وآله وهو يجود بنفسه، فقال لى: ما يبكيك يا علي؟ ليس هذا أوان البكاء، فأستودعكم الله أختى، فقد اختار لى ربي ما عنده، وقد استودعتكم الله وقبلكم منى وديعة، إنى قد أوصيت فاطمة ابنتى بأشياء وأمرتها أن تلقىها إليك فنفذها، فهى الصادقة الصدوقة.

ثم ضمها إليه وقبّل رأسها وقال: (فداك أبوك يا فاطمة)، فعلا صوتها بالبكاء، ثم ضمها إليه وقال: (أما والله لينتقم الله ربي، وليغضب لى غضبك، فالويل ثم الويل للظالمين، ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وآله).

قال علي عليه السلام: (فوالله لقد حسبت قطعة منى ذهبت لبكائه)، حتى هملت عيناه مثل المطر، حتى بليت دموعه لحيته وملاءة كانت عليه، وهو يلتزم فاطمة لايفارقها.. ورأسه على صدرى وأنا مسنده، والحسن والحسين يقبلان ويكيان بأعلى أصواتهما.

ثم قال: اعلم يا علي أنى راضٍ عن رضيت عنه ابنتى فاطمة، وكذلك ربي وملائكته.

يا علي: ويل لمن ظلمها.. ثم ضم صلى الله عليه وآله فاطمة إليه وقبل رأسها وقال: فداك أبوك يا فاطمة.

كان رسول الله صلى الله عليه وآله فى تلك الساعة الأخيرة واضعاً رأسه على صدر علي عليه السلام وقلبه لا يطاوعه إلا أن يضم فاطمة إلى صدره مرة بعد مرة، وأقبل الحسن والحسين يقبلان قدميه ويكيان بأعلى أصواتهما، وأراد علي عليه السلام أن يرفعهما، فقال النبي صلى الله عليه وآله: دعهما يشمانى وأشمهما، ويتزودا منى وأتزود منهما، فسيليقان من بعدى زلزالاً، وأمرأً عضالاً، فلعن الله من يحيفهما، اللهم إنى أستودعكما وصالح المؤمنين.

ثم قال لها: يا بنية، الله خليفتى عليكم وهو خير خليفة، والذى بعثنى بالحق لقد بكى لبكائك عرش الله وما حوله من الملائكة والسموات والأرضون وما فيهما.

يا فاطمة، والذى بعثنى بالحق لقد حرمت الجنة على الخلائق حتى أدخلها، وإنك لأول خلق الله يدخلها بعدى،

الفصل الخامس

طائفة (*) من أقوال

السيدة الزهراء (عليها السلام)

- ١- ((من أصد إلى الله خالص عبادته أهبط الله إليه أفضل مصلحته))^(١).
- ٢- ((خياركم أليكم مناكبه، وأكرمهم لنسائهم))^(٢).
- ٣- ((أدنى ما تكون - المرأة - من ربها أن تلزم قعر بيتها)).
- ٤- وسئلت (عليها السلام) عن بكائها فقالت: ((لَحَقَّ لى البكاء، فلقد أصبت بخير الآباء رسول الله (صلى الله عليه وآله)، واشوقاه إلى رسول الله))، ثم أنشأت تقول: إذا مات ميت قل ذكره

(*) موسوعة المصطفى والعترة - حسين الشاكرى - ٣٦١/٤ - ٣٦٧.

(١) البحار، ١٨٤/٧١.

(٢) دلائل الإمامة: للطبرى، ٧.

كاسية حالية ناعمة.

يا فاطمة، هنيئاً لك، والذي بعثنى بالحق، إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا صعق، فينادى إليها أن: يا جهنم، يقول لك الجبار: اسكنى بعزى واستقرى، حتى تجوز فاطمة بنت محمد ﷺ إلى الجنان لا يغشاها فقر ولا ذلة.

والذى بعثنى بالحق، ليدخلن حسن وحسين: حسن عن يمينك وحسين عن يسارك، ولتشرفن من أعلى الجنان بين يدى الله فى المقام الشريف، ولواء الحمد مع على بن أبى طالب عليه السلام (١).

(١) موسوعة المصطفى والعترة، حسين الشاكرى، ج ٤، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ (بتصرف).

أمرناك، وتنتهي عما زجرناك عنه فأنت من شيعتنا..))^(١).

٩- وقالت (عليها السلام) لبعض النساء: ((أرضي أبوى دينك محمداً وعلياً بسخط أبوى نسبك، ولا ترضي أبوى نسبك بسخط أبوى دينك، فإن أبوى نسبك إن سخطاً أرضاهما محمد وعلی (عليهما السلام) بثواب جزء من ألف ألف جزء من ساعة من طاعاتها، وإن أبوى دينك- محمداً وعلياً- إن سخطاً لم يقدر أبوا نسبك أن يرضياهما، لأن ثواب طاعات أهل الدنيا كلهم لا يفي بسخطهما))^(٢).

١٠- وقالت (عليها السلام): ((البشر في وجه المؤمن يوجب لصاحبه الجنة))^(٣).

١١- وقالت (عليها السلام): ((أبوا هذه الأمة محمد وعلی يقيمان أودهم وينقذانهم من العذاب الدائم إن

(١) البحار: ١٥٥/٦٨.

(٢) تفسير الإمام الحسن من تاريخ دمشق، لابن عساكر، ص ٣٥٤.

(٣) تفسير الإمام: ٣٥٤.

وذكر أبي مذ مات والله أكثر^(١)

٥- وقالت (عليها السلام): ((مثل على (أو مثل الإمام) مثل الكعبة إذ يؤتى ولا يأتي))^(٢).

٦- وقالت (عليها السلام): ((المؤمن ينظر بنور الله))^(٣).

٧- وقالت (عليها السلام): ((.. أنا ثمرة فؤاده- تعنى النبي- وعضو من أعضائه، وغصن من أعصانه، وليس له ولد غيري.. وأنا ابنة خديجة الكبرى.. أنا ابنة سدرة المنتهى.. وأنا ابنة من دنى فتدلى وكان من ربه قاب قوسين أو أدنى.. أنا بنت الصالحات والمؤمنات.. وأنا زوجت في الرفيق الأعلى.. وأنا من بحر علمي يغترفون.. وأنا مسلك نجاة الراغبين.. وأنا البيرة الزكية..))^(٤).

٨- وقالت (عليها السلام): ((إن كنت تعمل بما

(١) عوالم المعارف ١١/٢٢٨.

(٢) عوالم المعارف ١١/٢٢٨.

(٣) عوالم المعارف ١١/٦-٧.

(٤) فضائل ابن شاذان: ٨٠-٨٢.

أطاعوهما، ويبيحانهم النعيم الدائم إن وافقوهما))^(١).

١٢- وقالت (عليها السلام): ((ما يصنع الصائم بصيام إذا لم يصن لسانه وسمعه وبصره وجوارحه))^(٢).

١٣- ولما سمعت (عليها السلام): ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين* لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾^(٣). سقطت على وجهها وهي تقول: ((الويل ثم الويل لمن دخل النار))^(٤).

١٤- عن الإمام الحسن (عليه السلام) قال: ((رأيت أمى فاطمة قائمة في محرابها ليلة الجمعة فلم تزل راکعة ساجدة حتى انفلق عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت: يا أماه لم لا تدعى لنفسك كما تدعين

(١) تفسير الإمام: ٣٥٤.

(٢) مستدرک الوسائل- الحاكم النيسابوري- ٥٦٥/١.

(٣) الحجر: (٤٣-٤٤).

(٤) البحار: ٣٠٣/٨.

لغيرك؟)). قالت: ((يا بنى الجار ثم الدار))^(١).

١٥- وقالت (عليها السلام): ((خير للنساء أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال))^(٢).

١٦- وقالت (عليها السلام) فى دعاء لها بعد أن صلت ركعتين ورفعت باطن كفيها إلى السماء: ((إلهى وسيدى هذا محمد نبيك، وهذا على ابن عم نبيك وهذان الحسن والحسين سبطا نبيك. إلهى أنزل علينا مائدة من السماء كما أنزلتها على بنى إسرائيل أكلوا منها وكفروا بها، اللهم أنزلها علينا فإننا بها مؤمنون))^(٣).

١٧- وقالت (عليها السلام) لما قضى النبي لها بالخدمة مادون الباب: ((فلا يعلم ماداخلني من السرور إلا الله بإكفائي رسول الله (صلى الله عليه وآله) تحمل رقاب الرجال))^(٤).

(١) دلائل الإمامة: ٥٦.

(٢) البحار: ٥٤/٤٣.

(٣) البحار: ٧٤/٤٣.

(٤) البحار: ٨١/٤٣.

١٨- وقالت (عليها السلام) لأبيها (صلى الله عليه وآله): ((رضيت بالله رباً، وبك يا أبتاه نبياً، وبابن عمي بعلاً وولياً))^(١).

١٩- وقالت (عليها السلام): ((إلزم رجلاً - تعني الأم - فإن الجنة تحت أقدامها))^(٢).

٢٠- وقالت (عليها السلام): ((أنسيتم قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم غدير خم (من كنت مولاه فعلى مولاه؟) وقوله (صلى الله عليه وآله): (أنت مني بمنزلة هارون من موسى؟!))^(٣).

٢١- وقالت (عليها السلام): ((قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد

(١) البحار: ١٥١/٤٣.

(٢) ملحقات عوالم المعارف: ٦٢٢/١١.

(٣) أسنى المطالب للجزري: ٥٠.

أسخطني))^(١).

٢٢- وقالت (عليها السلام): ((قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (أما إنك يا علي وشيعتك في الجنة))^(٢).

٢٣- وقالت (عليها السلام): ((قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (ألا من مات على حب آل محمد مات شهيداً))^(٣).

٢٤- وسئلت (عليها السلام) عن الأئمة (عليهم السلام) فقالت: ((سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: الأئمة بعدى عدد نقيب بني إسرائيل))^(٤).

٢٥- وقالت (عليها السلام): ((الأوصياء أولهم ابن عمي وأحد عشر من ولدي آخرهم القائم))^(٥).

٢٦- وقالت (عليها السلام): ((قال رسول الله (صلى

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ص ١٤ ط - مصر.

(٢) دلائل الإمامة للطبري، ص ٣ و٢.

(٣) عوالم المعارف ومستدركاتهما: ٣٥٤/٢١ - ٣٥٥.

(٤) فاطمة (عليها السلام) بهجة قلب المصطفى، ص ٢٨٩.

(٥) كمال الدين وتمام النعمة، ص ٣٠٨.

الله عليه وآله): لا يلومن إلا نفسه من بات وفى يده
غمراً)) (١). (والغمير - بالتحريك: الدسم والزهومة من
اللحم).

٢٧- وقالت (عليها السلام): ((قال لي رسول الله
صلى الله عليه وآله): زوجتك أعلم الناس علماً، وأولهم
سلاًماً، وأفضلهم حلاًماً)) (٢).

٢٨- وقالت (عليها السلام): ((قال رسول الله صلى
الله عليه وآله): من تختم بالعقيق لم يزل يرى خيراً)) (٣).

٢٩- وقالت (عليها السلام): ((إن الله هو السلام ومنه
السلام وإليه السلام)) (٤).

٣٠- وقالت (عليها السلام): ((ما كنت لأفشي لرسول

الله سرأ)) (١).

٣١- وقالت (عليها السلام)- فى حديث-: ((ماعندنا
إلا قوت الصبية، لكننا نؤثر ضيفنا)) (٢).

٣٢- وقالت (عليها السلام): ((إن أبى نظر إلى على
وقال: هذا وشيعته فى الجنة)) (٣).

٣٣- وقالت (عليها السلام): ((احمدوا الله الذى
لعظمته ونوره يبتغي من فى السموات والأرض إليه
الوسيلة. ونحن وسيلته فى خلقه، ونحن خاصته ومحل
قدسه، ونحن حجته فى غيبه، ونحن ورثة أنبيائه)) (٤).

خطبتها (عليها السلام) فى المسجد

جلست السيدة الزهراء ثم أنت أنة أجهش القوم بالبكاء،
فارتج المجلس، ثم أمهلت هنيهة، حتى إذا سكن نشيج

(١) فاطمة (عليها السلام) بهجة قلب المصطفى، ص ٣٠٢.

(٢) المصدر السابق، وكنز العمال للمتقى الهندي ٦٠٥/١١ ح
٣٢٩٢٦ و١٣/١٣٥ ح ٣٦٤٢٣.

(٣) أمالى الطوسي: ٣١٨/١.

(٤) ملحقات عوالم المعارف: ٥٧٩/١١.

(١) المصدر السابق: ٥٨٠.

(٢) أمالى الطوسي: ١٨٨/١.

(٣) ينابيع المودة: القندوزى الحنفى، ص ٢٥٧.

(٤) شرح نهج البلاغة- ابن أبى الحديد- ٢١١/١٦.

القوم وهدأت فورتهم^(١).

افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه، والصلاة على رسوله، فعاد القوم فى بكائهم، فلما أمسكوا عادت فى كلامها، فقالت عليها السلام:

الحمد لله على ما أنعم. وله الشكر على ما ألهم. والثناء بما قدم. من عموم نعم ابتداها. وسبوغ آلاء أسداها^(٢). وتمام منن والاياها. جم عن الإحصاء عددها^(٣). ونأى عن الجزاء أمدها^(٤). وتفاوت عن الإدراك أبدها. وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها^(٥). واستحمد إلى الخلائق بإجزالها. وثنى بالندب إلى أمثالها^(٦).

(١) النشيج: صوت البكاء مع التوجع. والفورة: الشدة.

(٢) سبوغ الألاء: اتساعها.

(٣) جم: كثر.

(٤) نأى: بعد. وهكذا تفاوت.

(٥) ندبهم: دعاهم، والاستزادة: طلب زيادة الشكر، وهكذا استحمد.

(٦) ثنى بالندب: أى كما أنه ندبهم لاستزادتها كذلك ندبهم إلى أمثالها

من موجبات الثواب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. كلمة جعل الإخلاص تأويلها. وضمن القلوب موصولها^(١). وأثار فى التفكير معقولها. الممتع من الإبصار رؤيته. ومن الألسن صفته. ومن الأوهام كفيته. ابتدع الأشياء لا من شىء كان قبلها^(٢). وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها^(٣). كونها بقدرته، وذراها بمشيئته^(٤). من غير حاجة منه إلى تكوينها. ولا فائدة فى تصويرها. إلا تثبيتها لحكمته وتنبئها على طاعته. وإظهاراً لقدرته. وتعبداً لبريته. وإعزازاً لدعوته. ثم جعل الثواب على طاعته. ووضع العقاب على معصيته. زيادة لعباده من نعمته^(٥). وحياشة لهم إلى

(١) جعل القلوب محتوية لمعنى كلمة التوحيد.

(٢) أحدثها.

(٣) الاحتذاء: الاقتداء. وحذو النعل بالنعل أى قطع النعل على مثال

النعل وقدرها.

(٤) ذراها: خلقها.

(٥) زيادة: منعاً.

جنته(١).

وأشهد أن أبى (محمدًا) عبده ورسوله. اختاره وانتجبه قبل أن اجتبله(٢). واصطفاه قبل أن ابتعثه. إذ الخلائق بالغيب مكنونة. وبستر الأهويل مصونة. وبنهاية العدم مقرونة.

علمًا من الله تعالى بمآئل الأمور(٣). وإحاطة بحوادث الدهور. ومعرفة بمواقع المقدور. ابتعثه الله إتماماً لأمره. وعزيمة على إمضاء حكمه. وإنفاذاً لمقادير حتمه. فرأى الأمم فرقا في أديانها. عكفاً على نيرانها. وعابدة لأوثانها. منكرة لله مع عرفانها. فأنار الله بمحمد ﷺ ظلمها(٤). وكشف عن القلوب بئهما(٥)؟ وجلّى عن الأبصار

غممها(١). وقام فى الناس بالهداية. وأنقذهم من الغواية. وبصرهم من العماية. وهداهم إلى الدين القويم. ودعاهم الى الصراط المستقيم. ثم قبضه الله إليه قبض رافة واختيار. ورغبة وإيثار. فمحمد ﷺ من تعب هذه الدار فى راحة. قد حف بالملائكة الأبرار. ورضوان الرب الغفار. ومجاورة الملك الجبار. صلى الله على أبى. نبيه، وأمينه على الوحي وصفيه. وخيرته من الخلق ورضيه. والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

ثم التفتت إلى أهل المجلس وقالت: أنتم- عباد الله- نصب أمره ونهيه(٢) وحملة دينه ووحيه. وأمناء الله على أنفسكم(٣). وبلغاؤه إلى الأمم(٤). زعيم حق له فيكم. وعهد قدمه إليكم. وبقية استخلفها عليكم. كتاب الله الناطق.

(١) حياشة لهم: سوفهم.

(٢) اجتبله: فطره.

(٣) المآئل: جمع مآل- أى المرجع.

(٤) ظلم: جمع ظلمة.

(٥) البهم: جمع بهمة وهى مشكلات الأمور.

(١) الغمم- جمع غمة- الشىء الملتبس المستور.

(٢) منصوبون لأوامره ونواهييه.

(٣) أمناء: جمع أمين.

(٤) البلغاء- جمع بليغ-، والمقصود- هنا-: المبلغ.

والقرآن الصادق. والنور الساطع^(١). والضيء اللامع^(٢).
بينه بصائره، منكشفة سرائره^(٣).

متجلية ظواهره^(٤). مغتبط به أشياعه^(٥) قائد إلى
الرضوان اتباعه. مؤد إلى النجاة استماعه. به تنال حجج
الله المنورة. وعزائمه المفسرة^(٦). ومحارمه المحذرة.
وبيناته الجالية^(٧). وبراهينه الكافية. وفضائله المندوبة^(٨).

(١) الساطع: المرتفع.

(٢) اللامع: المضيء.

(٣) البصائر: جمع بصيرة، والمراد- هنا-: الحجج والبراهين.
والسرائر: جمع سريرة، والمقصود- هنا-: الأسرار الخفية
واللطائف الدقيقة.

(٤) متجلية: منكشفة.

(٥) الغبطة: أن تتمنى مثل حال المغبوط إذا كان بحالة حسنة.

(٦) العزائم- جمع عزيمة-: الفريضة التي افترضها الله.

(٧) الجالية: الواضحة.

(٨) المندوبة: المدعو إليها.

ورخصه الموهوبة. وشرائعه المكتوبة^(١).
فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك. والصلاة
تنزيهاً لكم من الكبر. والزكاة تزكية للنفس
ونماء في الرزق. والصيام تثبيتاً للإخلاص. والحج
تشبيهاً للدين. والعدل تنسيقاً للقلوب^(٢). وإطاعتنا
نظاماً للملة. وأمامتنا أماناً للفرقة. والجهاد عزاً
للإسلام. والصبر معونة على استيجاب الأجر.
والأمر بالمعروف مصلحة للعامة. وبر الوالدين
وقاية من السخط. وصلة الأرحام مناة
للعدد^(٣). والقصاص حقناً^(٤) للدماء. والوفاء
بالنذر تعريضاً^(٥)

(١) المكتوبة- هنا-: الواجبة.

(٢) التنسيق: التنظيم.

(٣) منامة - على وزن مسحاة-: اسم آلة للنمو، ولعلها مصدر
ميمى للنمو.

(٤) حقناً: حفظاً.

(٥) تعريضاً: إذا جعلته في عرضة الشيء.

الفصل السادس

لحظات عمرها الأخيرة

انتقلت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلى فراشها المفروش في وسط البيت، واضطجعت مستقبلة القبلة، واضعة يدها تحت خدها بعد أن هيات طعاماً لأطفالها، وقيل: إنها أرسلت بنتيها، زينب وأم كلثوم إلى بيوت بعض الهاشميات لئلا تشاهدا انتقال أمهما، كل ذلك من باب الشفقة والرأفة، والتحفظ عليهما من صدمة مشاهدة المصيبة.

ويستفاد من بعض الأحاديث أن الإمام علياً والحسن والحسين (عليهم السلام) كانوا خارج البيت في تلك الساعة، ولعل خروجهم كان لأسباب قاهرة وظروف معينة، وعلى كل لم يحضروا تلك الدقائق الأخيرة من حياة أمهم، وإنما كانت أسماء بنت عميس حاضرة وملازمة لها، ويستفاد من بعض الأحاديث أن خادماتها فضاة أيضاً كانت حاضرة.

للمغفرة. وتوفية المكايل^(١) والموازين تغييراً للبخس. والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس. واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة. وترك السرقة إيجاباً للعفة. وحرمة الشرك إخلاصاً له بالربوبية. فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون. وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه. فإنه إنما يخشى الله من عباده العلماء. في هذا المقطع الوضوء من الخطبة ترسم السيدة الزهراء الحقيقة الكبرى التي امتاز بها الإسلام عن سواه من الشرائع في كونه عقيدة ونظاماً ومنهجاً، طرق باب كل مشكلة من مشكلات الحياة الإنسانية، وتوفر على حلها بما يتناسب والمصلحة، وبما يتماشى والحكمة. ويتضح لنا أن السيدة الزهراء (عليها السلام) قد تحدثت عن فلسفة الإسلام وأرادت أن ترسم العلل التي من أجلها حددت معالم الرسالة الإسلامية بهذه الصيغة لا بسواها.

(١) المكايل - جمع مكيال - وهو ما يكال به. والموازين: جمع ميزان. والبخس: النقص.

جاء في (مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٦ ص ٤١٦،
 روى بسنده عن أم سلمى قالت: اشتكت فاطمة سلام الله
 عليها شكوها التي قبضت فيه فكنت أمرضها فأصبحت
 يوماً كأمثل ما رأيتها في شكوها تلك، قالت- وخرج على
 النبي ﷺ لبعض حاجته- فقالت: يا أمة إسكبي لي غسلاً
 فسكبت لها غسلاً فاغتسلت كأحسن ما رأيتها تغتسل، ثم
 قالت: يا أمة أعطيني ثيابي الجدد فأعطينتها فلبستها، ثم
 قالت: يا أمة قدمي لي فراشي وسط البيت ففعلت
 واضطجعت واستقبلت القبلة وجعلت يدها تحت خدها، ثم
 قالت: يا أمة إني مقبوضة الآن وقد تطهرت فلا يكشفني
 أحد، فقبضت مكانها قالت: فجاء على النبي ﷺ فأخبرته.

وذكره المحب الطبري أيضاً في ذخائره (ص ٥٣)
 وقال في أوله: عن أم سلمة، وقال في آخره: أخرجه أحمد
 في المناقب والدولابي (انتهى) ورواه ابن الأثير أيضاً عن
 أم سلمى في أسد الغابة (ج ٥ ص ٥٩٠).

يقول صاحب موسوعة المصطفى والعترة ٤/٣٤٢:
 حانت ساعة الاحتضار، وانكشف الغطاء، ونظرت السيدة

فاطمة نظراً حاداً ثم قالت:

السلام على جبريل.

السلام على رسول الله.

اللهم مع رسولك، اللهم في رضوانك وجوارك ودارك
 دار السلام.

ثم قالت: "أترون ما أرى؟" فقيل لها: ما ترين؟ قالت:

(هذه مواكب أهل السموات وهذا جبريل، وهذا رسول

الله يقول: يا بنية أدمي، فما أمامك خير لك).

وفى رواية: أن الإمام علياً ﷺ وجاء وغسلها

بقميصها كما فعل مع رسول الله ﷺ وآله.

الإمام علي في تأبين الزهراء

إن كانت العادة والإنسانية قد قضت برثاء الميت، فإن
 السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تستحق الرثاء بعد
 انتقالها إلى الرفيق الأعلى كما تستحق الثناء في حياتها،
 والرثاء تعبير عن الشعور، وإظهار التوجع والتأسف على
 الفقد، وبيان تأثير مصيبة فقده على الرائي، وانطلاقاً من
 هذا المفهوم فإنه يجدر بالإمام علي ﷺ أن يرثي السيدة

فاطمة الزهراء (عليها السلام) وبيت آلامه النفسية من تلك الفاجعة المؤلمة، فالإمام يشعر بألم المصاب أكثر من غيره، لأنه يقدر فقيدته حق قدرها، وتأثير الصدمة في نفسه أقوى وأكثر، فلا عجب إذا هاجت أحزانه فقال مخاطباً لسيدة النساء فاطمة الزهراء العزيزة بعد انتقالها قائلاً:

نفسى على زفرتها محبوسة

يا ليتها خرجت مع الزفرات

لا خير بعدك فى الحياة وإنما

أبكى مخافة أن تطول حياتى

وقوله:

أرى علل الدنيا على كثيرة

وصاحبها حتى الممات عليل

ذكرت أبا ودّى فبت كأتنى

برد الهموم الماضيات وكيل

لكل اجتماع من خليلين فرقة

وكل الذى دون الفراق قليل

وإن افتقادی فاطماً بعد أحمد

دليل على أن لا يدوم خليل

وقوله:

فراقك أعظم الأشياء عندى

وفقدك فاطم أدهى التكلول

سأبكى حسرة وأنوح شجواً

على خلّ مضى أسنى سبيل

ألا يا عين جودى واسعدينى

فحزنى دائم أبكى خليل

وقوله:

حبيب ليس يعدله حبيب

وما لسواه فى قلبى نصيب

حبيب غاب عن عيني وجسمى

وعن قلبى حبيبي لا يغيب

حزن الإمام على عليها وكلامه بعد دفنها

عن الإمام على بن الحسين عن الإمام أبي عبد الله الحسين بن على عليه السلام. قال: لما قبضت فاطمة (عليها السلام) دفنها أمير المؤمنين عليه السلام سراً وعفى على موضع روضتها:

ثم قام فحول وجهه إلى روض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: السلام عليك يا رسول الله عني، والسلام عليك عن ابنتك وزائرتك والباينة في الثرى ببقعتك، والمختار الله لها سرعة اللحاق بك؛ قل يا رسول الله عن صفتك صبرى، وعفا^(١) عن سيدة نساء العالمين تجلدى^(٢) إلا أن فى التأسى لى بسنتك^(٣) فى فرقتك موضع تعز، فإفقد وسدتك

(١) العفو: المحو والامحاء.

(٢) التجلد: القوة.

(٣) أى بسنة فرقتك، والمعنى: أن المصيبة برفاقك كانت أعظم فكما صبرت على تلك مع كونها أشد فلأن أصبر على هذه أولى. والتأسى: الاقتداء بالصبر فى هذه المصيبة كالصبر فى تلك.

فى ملحودة قبرك، وفاضت^(١) نفسك بين نحرى وصدرى. بلى وفى كتاب الله لى أنعم القبول^(٢): إنا لله وإنا إليه راجعون، قد استرجعت الودیعة^(٣)، وأخذت الرهينة، وأختلست^(٤) الزهراء، فما أفبج الخضراء والغبراء. يا رسول الله، أما حزنى فسرمد، وأما لىلى فمسهد^(٥)، وهم لا یبرح من قلبى، أو یختار^(٦) الله لى دارك التى أنت فىها مقیم، كمد مقیح^(٧)، وهم مهیج، سرعان ما فرق

(١) فاضت نفسه: خرجت روحه.

(٢) أى فىه ما یصیر سبباً لقبول المصائب أنعم القبول.

(٣) استعار عليه السلام لفظ الودیعة والرهينة لتلك النفس الكريمة، لأن الأرواح كالودیعة والرهن فى الأبدان، أو لأن النساء كالودائع عند الأزواج، ویمكن أن یقرأ: "استرجعت" وقراءته على بناء المعلوم والمجهول.

(٤) التخالس: التسالب.

(٥) السهود: قلة النوم.

(٦) أو یختار: أى إلى أن یختار.

(٧) الكمد- بالفتح والتحریرك-: الحزن الشدید، ومرض القلب منه، وهو إما لقوله: هم، أو كل منهما خبر مبتدأ محذوف.

بيننا، وإلى الله أشكو.

وستبتئك ابنتك وستقول يحكم الله، وهو خير الحاكمين.
(والسلام عليكما) سلام مودع، لا قال ولا سئم؛ فإن
انصرف فلا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظن بما
وعد الله الصابرين.

واهاً واهاً، والصبر أئمن وأجمل، ولو لا غلبة
المستولين لجعلت المقام واللبث لزاماً معكوفاً^(١)،
ولأعولت إعوال^(٢) التكل على جليل الرزية.

فبعين الله^(٣) تدفن ابنتك سراً، ولم يتباعد العهد، ولم
يخلق منك الذكر؛ وإلى الله يا رسول الله، المشتكى،
وفيك^(٤) يا رسول الله، أحسن العزاء، صلى الله عليك،

(١) عكفه يعكفه: حبسه.

(٢) الإعوال: رفع الصوت بالبكاء والصياح.

(٣) فبعين الله: أى تدفن ابنتك سراً متلبساً بعلم من الله وحضوره
وشهوده.

(٤) وفيك: أى فى إطاعة أمرك.

وعليها السلام والرضوان^(١).

(١) الكافى: ١، عنه البحار: ٤٣، وفى نهج البلاغة: خطبة ٢٠٢،
وكشف الغمة، ومناقب ابن شهر آشوب: ٣، وروضة الواعظين
وأورده فى أعلام النساء: ٣، الإحقاق: ١٠، وفاطمة الزهراء
لعبد الله الهاشمى: ٣٦٦ - ٣٦٧.

الخاتمة

أيها القارئ الكريم..

لقد قضينا معك فترة من الزمان فى رحاب السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، سيدة نساء العالمين، الشديدة الاعتزاز بانتسابها إلى أبيها، المفطورة على يقين التدين، ريحانة رسول الله ﷺ وآله، وآخر من بقى من أولاده على قيد الحياة، فشهدت انتقاله ﷺ وآله إلى الرفيق الأعلى، وكانت أول من لحق به ﷺ وآله.

وذكرنا الشئ اليسير مما يتعلق بحياة سيدة نساء العالمين، ويجب أن لا ننسى أننا لم نذكر إلا بعض المقتطفات من ترجمة السيدة الزهراء، فلو أردنا أن نذكر - هنا - ما سجلته التواريخ واحتوته موسوعات الأحاديث لكان هذا الكتاب أضعاف هذا الحجم من حيث غزارة المواد، ولكننا اكتفينا هنا بما يسهل قبوله، ولا يعسر على العقول هضمه، ولا يصعب على النفوس تحمله، ولئلا يتهمنا المتهمون بالغلو والإفراط.

ولكن الأمر الذى نود التأكيد عليه، أن هناك روايات

متضاربة ومتعارضة عن حياة السيدة الزهراء رضى الله عنها، فعلى المتحدث أو الكاتب أن يقف على أعتاب الأدب عند التحدث أو الكتابة عنها، ويفتدى فى هذا بالإمام الشافعى الذى ذكر الحديث الصحيح فقال: (لو سرقت فلانة لامرأة شريفة لقطعنها) يعنى السيدة فاطمة بنت النبي ﷺ وآله، فلم يصرح الشافعى باسمها تأدباً معها أن تذكر فى هذا المعرض - وإن كان ﷺ ذكرها - لأن ذلك منه ﷺ حسن لإظهار العدل.

وقد قال الحافظ ابن حجر فى فتواه التى ذكرها صاحب السيرة الحلبية ج ١ ص ١٥٠، والشىخ يوسف النبهانى فى جواهر البحار ج ٣ ص ٣٧٠ (ينبغى لمن يكون فطنا أن يحذف من الخبر، أى: الحديث، ما يوهم فى المخبر عنه نقصاً ولا يضره ذلك).

ومن ثم، فإن الأدب فى الحديث عن السيدة الزهراء عليها السلام موجب لرضا الله ورسوله، وسوء الأدب موجب لسخط الله ورسوله، ولمزيد من البيان نقول:

١- هناك العديد من الأحاديث التى تؤكد أن السيدة

الزهراء كانت تعمل بيدها حتى سال منها الدم، وشكت ذلك لرسول الله ﷺ، وفي نفس الوقت نرى حديثاً يشير إلى الأدب ذكره الملا على القارئ في سيرته، وابن حجر في الصواعق المحرقة، أن النبي ﷺ أرسل أبا ذر ينادى علياً، فأرى رحيّ تطحن في بيته وليس معها أحد، فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال: (يا أبا ذر أما علمت أن الله ملائكة سياحين في الأرض قد وكلوا بمعونة آل محمد).

٢- هناك حديث يقول: (يا فاطمة بنت رسول الله اعملي خيراً فإنى لا أغنى عنك من الله شيئاً يوم القيامة) يفسره البعض أن النبي لا ينفع ابنته يوم القيامة، وأن عملها فقط هو الذى ينفعها.

لكن الإمام أبا العزائم رحمه الله في كتابه النجاة يقول: (فتلك خصوصية تفردت بها السيدة فاطمة، لأن جميع الأمة يوم القيامة فى حاجة إلى شفاعته النبي ﷺ، لأن أعمالهم مهما كثرت لن تدخلهم فى رحمة الله، أما السيدة فاطمة فبعملها لا تحتاج إلى شفاعته، ولما كانت هى بضعته وهو ﷺ يشفع ولا يشفع فيه، فهى أيضاً تشفع ولا يشفع فيها).

٣- هناك العديد من الأحاديث التى تشير إلى أن السيدة الزهراء وزوجها كانا يعيشان حالة من الفقر والضعف والشدة، رغم أن المتتبع للسيرة النبوية يعلم أنها ابنة السيدة خديجة (عليها السلام) التى كانت تجاراتها تجوب أرجاء أرض العرب والعجم، وقد ورثت السيدة الزهراء عنها الكثير، ويجد أن النبي ﷺ بعد زواج السيدة الزهراء بعام ونصف العام تقريباً فتح بنى النضير، وكانت فيئاً خالصاً لرسول الله، فكان يخزن منها قوت سنة لزوجاته ولبنى هاشم وبنى عبد المطلب وما زاد يضعه فى السلاح.. فهل سيترك الزهراء روحه التى بين جنبيه فى هذه الحالة من البؤس والفقر ويوسع على الآخرين؟!.

ويجد أنه بعد فتح خيبر وهب النبي للسيدة الزهراء أرض فدك ملكاً خالصاً لها، وهى أرض تكفى لرعاية العشرات من العائلات، وليس بيت الزهراء وحده. ويجد أيضاً أن النبي ﷺ طلب من السيدة الزهراء أن تنزع زينة زينب بها باب بيتها من الخارج لأنه يتنافى مع

زهد أهل البيت، فهل كانت تزين ظاهر باب البيت فى حين أنها لا تجد ما تأكله؟!!!

أما علم هؤلاء أن السيدة الزهراء لا تجوع، كما روى البيهقى فى الدلائل أن رسول الله ﷺ دعا فقال: (اللهم مشبع الجماعة، وقاضى الحاجة، ورافع الوضيعة، لا تجع فاطمة بنت محمد).

تقول السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام: (ما جعت بعد ذلك أبداً) [رواه الطبرانى فى الأوسط].

وإذا كانت السيدة مريم (عليها السلام) - وهى سيدة نساء عالمها - ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ فكيف بسيدة نساء العالمين، وهى بضعة المصطفى ﷺ الذى كان يبيت عند ربه فيطعمه ويسقيه؟ أما علم هؤلاء أنه لا يجوز شرعاً نسبة الفقر لرسول الله ﷺ، ولا نسبته للإمام على عليه السلام بعد قول رسول الله ﷺ وآله للسيدة فاطمة (عليها السلام): (يا بنية، ما أبوك ولا بعلك بفقير، ولقد عرضت على خزائن الأرض، فاخترت ما عند ربى) [راجع السيرة الحلبية، وموسوعة المصطفى

والعتره].

إن الروايات التى تسمى الأدب مع السيدة الزهراء من أمثال طلب الإمام على كرم الله وجهه الزواج عليها من ابنة أبى جهل، وجوعها، وعدم جمالها، وحنوستها - وغيرها من الافتراءات - إنما روجها أعداء آل البيت قديماً، ويردها الوهابيون وذيولهم حديثاً بقصد الانتقاص من هذه السيدة العظيمة.

فما أضل الإنسان، وما أعماه عن الحق!

وما أضله عن الهداية!

وما أجرأه على ارتكاب أفبح القبائح وأشنع الشنائع.

وبعد هذا كله فإننا نقبل كل نقد علمى أو أدبى أو

تاريخى بكل ترحيب وتقدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.